

الحرم القدسي الشريف

د. خالد عزب

شيماء السايح

دار الكتاب العربي

بيروت - لبنان

الحرم القدسي الشريف

د. خالد عزب
شيماء السايح

دار الكتاب العربي
بيروت - لبنان

الحرم القدسي الشريف

ISBN: 978-9953-27-921-3

الناشر

DAR AL KITAB AL ARABI — دار الكتاب العربي

Verdun St., Byblos Bank Bldg. — شارع فردان، بناية بنك بيبلوس
P.O.Box 11-5769 — ص.ب 11-5769
Beirut 1107 2200 Lebanon — بيروت 2200 1107 لبنان
Tel. (+961 1) 800811 - 862905 - 800832 هاتف
Fax (+961 1) 805478 فاكس

E-mail daralkitab@idm.net.lb بريد إلكتروني

الآراء الواردة في هذا الكتاب تعبر عن وجهة نظر المؤلف وليس بالضرورة عن رأي الناشر

www.dar-alkitab-alarabi.com

www.academiainternational.com

الفهـــرس



مقدمـة

« سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ »

للحرم القدسي الشريف مكانة سامية عند المسلمين، فقد أُسريَ بالرسول الكريم محمد صلى الله عليه وسلم إليه، ومن رحابه عُرِج به إلى السماء، باركه الله تعالى في كتابه العزيز.

تتابع الاهتمام بالحرم القدسي منذ أن فتح في عهد أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، حتى ازدان في العصر الأموي ببناء قبة الصخرة والمسجد الأقصى، وظل اهتمام خلفاء بني العباس به، فقاموا بتجديده، لكن مع الحروب الصليبية تعرض لانتكاسة معمارية، ليعود له بريقه مع فتح صلاح الدين للقدس وتحريرها من الصليبيين، هكذا عاد إلى القدس بريقها لتشهد في العصر المملوكي أوج ازدهارها العمراني والمعماري ليضاف إلى الحرم القدسي مدارس وأسبلة ومنشآت لخدمة زوار الحرم القدسي، ولتعزيز العلم به، فصارت القدس قبله العلماء الزوار من شتى أرجاء العالم الإسلامي، وعبَّر الرحالة الذين زاروا القدس في فترات زمنية مختلفة عن عبق التاريخ الإسلامي المتواصل بها، وعلى رأسهم ابن بطوطة وابن حوقل والمقدسي والشريف الإدريسي وناصر خسرو والقزويني، وغيرهم من الرحالة الذين حرصوا على زيارة هذه المدينة المقدسة، وتسجيل مشاهداتهم في رحلاتهم التي يزخر بها التراث العربي والإسلامي، ولتشهد على يد السلطان العثماني سليمان القانوني نهضة جديدة، تدل دلالة على مدى رعاية المسلمين للمدينة وحرمها المقدس.

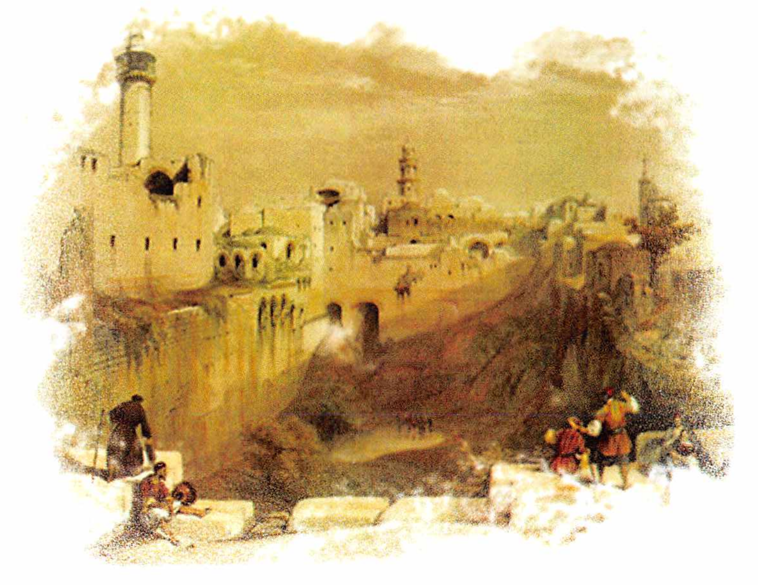
لكن اليوم ... الحال ليس بحاجة إلى من يصفه، لكننا بهذا الكتاب نذكر بروعة عمارة الحرم، وبتكوينه المعماري بالتفصيل، ليكون هذا الكتاب سجلاً له، يوثقه ويقدمه للقراء، وليغفر لي القارئ أي هنة أو هفوة به.

خالد عزب

مقدمة تاريخية

حملت القدس عبر تطورها التاريخي، وصولاً إلى عصرنا الحاضر، عدة أسماء منها: «أورسالم» وهي تسمية تعود إلى القرن الخامس عشر قبل الميلاد، وتتكون هذه اللفظة من شقين «أور» وهي كلمة كنعانية معناها مدينة، و«سالم» من السلام أي «مدينة السلام»، ومن ذلك اشتق العبرانيون اسم «أورشاليم»،كما عرفت بـ «يبوس» نسبة إلى سكانها اليبوسيين الأوائل، المدينة، دار السلام والقدس، وأخيرًا بيت المقدس، والقدس الشريف.

والقدس كما تحددها التوراة والمصادر التاريخية التي نقلت عن التوراة هي المنطقة الواقعة بين جبل موريا Moriah (والذي سأسميه جبل الأقصى) شمالاً ووادي الربابة (هينوم Hinnom) جنوباً، وبين وادي جهنم (القدرون Kidron) شرقاً، ووادي الزبالة (وادي الجبن) Tyropeoen (طريق الواد حالياً) غرباً، ويصف الرحالة ناصر خسرو القدس قائلاً: «هي مدينة مشيَّدة على قمة الجبل، ليس بها ماء غير الأمطار، وهي مدينة كبيرة كان بها أسواق جميلة وأبنية عالية، وكل أرضها مبلطة بالحجارة، وقد سوّوا الجهات الجبلية والمرتفعات، وجعلوها مسطحة، بحيث تُغسل الأرض كلها وتنظَّف حين تنزل الأمطار».



وبذلك فإن القدس تقع على منتصف المحور الشمالي الجنوبي الذي يصل منطقة الجليل بوسط فلسطين وجنوبها، وتربط بين أهم المدن الفلسطينية الجبلية «صفد، الناصرة، جنين، نابلس، رام الله، بيت لحم، الخليل».

وقد أعطت الإنكسارات الأرضية الممتدة شرقًا وغربًا والناتجة عن انخفاض الجبال الفلسطينية في منطقة القدس عن المناطق

المجاورة من الشمال والجنوب القدس أهمية، فقد أصبحت نقطة اتصال بين الساحل الفلسطيني من الغرب، وبين الغور من الشرق.

ومن ذلك يتبين لنا أن موقع القدس له أهمية كبرى، فهو نقطة التقاء للطرق الواصلة بين شمال فلسطين وجنوبها، وبين شرق فلسطين وغربها.

نظرًا لمكانة القدس لدى المسلمين، باعتبارها مدينة الرسل والأنبياء، ومهد الرسالات السماوية، فقد ارتبطت القدس بدعوة الأنبياء، وكانت مهوى أفئدة المسلمين على مر العصور، لكنها ارتبطت بصورة خاصة بالإسلام والمسلمين من خلال المكانة التي احتلتها في العقيدة الإسلامية وفي التاريخ الإسلامي، ولم يقصر المسلمون منذ أن اندفعوا خارج الجزيرة العربية بعد وفاة الرسول الكريم، في محاولة فتح فلسطين، وربط المسجد الأقصى بالمسجد الحرام عمليًّا بعد أن ربط الإسراء والمعراج، وتم ذلك بالفعل في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه، الذي دخل فلسطين فاتحًا وتسلم مفاتيح القدس من أهلها، وقطع على نفسه عهد الله في «العهدة العمرية» المشهورة أن يصون أموال أهل الكتاب وكنائسهم ويرعى حقوقهم، ويحقق لهم الأمن والسلامة، ومنذ ذلك اليوم والمسلمون يحتضنون المدينة المقدسة أرض الأقصى المبارك أولى القبلتين وثالث الحرمين ومسرى رسول الله صلى الله عليه وسلم.

فتح العرب المسلمون مدينة القدس في عهد الخليفة عمر بن الخطاب، فبعد ست سنوات من وفاة الرسول أي في نحو عام ٦٣٨م قام بطريرك القدس المسيحي سوفرونيوس بتسليم مفاتيح القدس إلى الخليفة عمر بن الخطاب الذي دخل القدس مرحبًا به، هو وأتباعه، من العرب المسلمين، وزار عمر بن الخطاب الحرم القدسي الشريف وقد كانت ساحة الحرم مهملة يستعملها الناس لإلقاء نفاياتهم، فأمر رضي الله عنه بإزالتها وتنظيفها وبناء مزارات تليق بقدسية المكان. وقد نهج نهجه خلفاء بني أمية من بعده. ومن مظاهر اهتمام بني أمية بالمدينة المقدسة بناء قبة الصخرة المشرفة والمسجد الأقصى، كما أقاموا حول الحرم قصورًا لهم طبقًا لما أشارت به نتائج التنقيبات الأثرية الحديثة.

وورثت الدولة العباسية فيما ورثت من الدولة الأموية القدس الشريف، وقد تابع العباسيون اهتمامهم بالقدس الشريف فرمموا المسجد الأقصى وقبة الصخرة المشرفة بعد الخراب الذي لحق بهما.

ولكن عندما ضعفت الدولة العباسية نتيجة النزاع على الخلافة، دخلت القدس وفلسطين في ولاية الطولونيين ولاة مصر، وجاء بعدهم الإخشيديون فكان للقدس في عهد الإخشيديين هؤلاء منزلة خاصة لدرجة أنهم أوصوا بأن يدفنوا فيها بعد مماتهم، وكان لهم ذلك.

أصبحت القدس بأيدي الفاطميين عام ٣٥٩هـ/ ٩٦٩م، وفي عهد الخليفة الظاهر لإعزاز دين الله ابن الحاكم بأمر الله شرع في بناء سور القدس، وعند حدوث الزلزال الكبير في عهده الذي كاد يودي بالمسجد الأقصى قام بتعميره وتوسيعه.

تلي هذه المرحلة فترة سيطر فيها السلاجقة على القدس وذلك في عام ٤٦٣هـ/ ١٠٧٢م، إلا أنه بعد ست وعشرين سنة تقريبًا عاد الفاطميون إلى القدس في عهد الخليفة الفاطمي المستعلي لمدة ثلاث سنوات حيث اغتصبها منهم الإفرنج في عام ١٠٧٢م. استولى السلاجقة على بيت المقدس واستمروا في حكم القدس إلى أن سيطر الفاطميون مرة أخرى على القدس عام ١٠٩٦م، ونشبت خلافات وصراعات بين الدولة الفاطمية والسلاجقة، فانتهز الإفرنج هذه الفرصة واغتصبوا مدينة القدس الشريف التي طالما سعوا إلى احتلالها رغبة منهم في تأمين طريق الحج المسيحي إلى الديار المقدسة على حد زعمهم.

بعد أن امتد حكم الإفرنج للقدس إلى ما يقارب الثماني والثمانين سنة، حاولوا فيها تغيير معالم القدس فوضعوا على الصخرة صليبًا، وحولوا المسجد الأقصى إلى مقر لفرسان الداوية ونصبوا بطريركًا لاتينيًا بدلاً من البطريرك الأرثوذكسي، وأقاموا عددًا من المباني الدينية وأقاموا نزلاً يتسع للكثير من الحجاج.

إلا أنه عندما دخل الملك المعظم تقي الدين عمر بن شاهنشاه مسجد الصخرة تولى بيده كنس أرضها ثم غسلها بالماء مرارًا ثم اتبع الماء بماء الورد وطهر حيطانها وغسل جدرانها.

وفي عهد صلاح الدين الأيوبي شهدت القدس رخاءً وتطورًا كبيرًا فأقيمت فيها المدارس والمعاهد والأربطة والمستشفيات، وانتعشت الحركة التجارية، ومن آثارهم الخانقاة الصلاحية وقبة يوسف وباب حطة.

كما حظيت القدس باهتمام السلاطين في العهد المملوكي فأقاموا بها منشآت علمية كثيرة حيث كانت القدس في العهد المملوكي مركزًا علميًا مرموقًا يفوق المراكز العلمية في العالم الإسلامي، فتوافد عليها طلاب العلم والعلماء والفقهاء من كل حدب وصوب، وهذا ما تشير إليه كثير من المدارس في ذلك العهد.

في آخر أيام الدولة المملوكية ساءت العلاقات بين المماليك وجيرانهم العثمانيين لأسباب كثيرة منها الخلاف على الحدود، ومنها تأييد المماليك لأخي السلطان سليم «بكركود» في مطالبته بالعرش، وانتهى ذلك باستيلاء العثمانيين على بلاد الشام ومصر، وانتهى بذلك الحكم المملوكي.

وفي عام ٩٢٢هـ/ ١٥١٦م فتح السلطان سليم الأول بلاد الشام ومن ضمنها فلسطين، فاهتم العثمانيون بالقدس لأهميتها الدينية واستفادت القدس من قوة الدولة العثمانية واتساع رقعتها، فأقاموا بها كثيرًا من المنشآت المعمارية كالمساجد والمدارس والتكايا والأسبلة، بالإضافة إلى عمارة قبة الصخرة حيث أعيد تبليطها، كما عمرت جدران الحرم وأبوابه.

إلا أنه مع بداية القرن التاسع عشر الميلادي تضافرت التوجهات السياسية للقوى الأوروبية نحو تغلغل حضاري ديني مع الإصلاحات العثمانية المتعلقة بالأراضي في سنتي ١٨٣٦ و١٨٥٦ التي سمحت للمواطنين من غير العثمانيين بتملك الأراضي وجعلت القدس والأراضي المقدسة بأسرها، حلبة صراع للمنافسات الأوروبية، فتحولت المدينة إلى مدينة أخرى غير تلك التي عرفها العرب قرونًا طويلة.

في سنة ١٨٦٣ صدر فرمان خاص بتأليف مجلس بلدي، وكان من جملة أعماله إنشاء نظام صرف صحي في سبعينيات القرن التاسع عشر الميلادي، وعلقت مصابيح الغاز لإضاءة المدينة. وفي سنة ١٨٩٢ أنشئ خط سكة حديد ربط بين القدس وميناء يافا الأقرب إليها، وفي ذات العام افتتحت حديقة عامة للجمهور في شارع يافا حيث كانت فرقة موسيقية عسكرية تعزف فيها يومي الجمعة والأحد، وتتابعت على المدينة خلال سنوات هذا القرن التغييرات مثل إنشاء قوة شرطة في سنة ١٨٦٨، ودائرة للإطفاء، ومستشفى في سنة ١٨٩١، ومنذ أواخر هذا القرن صار هناك سجل لتراخيص البناء.

كانت هناك صناعات في القدس قبل الحرب العالمية الأولى، حيث كان يوجد بها ٩ معامل لصنع الصابون، و١٠ معاصر لزيت السمسم، ومدبغة كبيرة، فضلاً عن ورش متخصصة لصنع الهدايا التذكارية لزوار المدينة، ومصنع للمكرونة وصناعات للطوب والسيراميك.

وهذا ما يجعلنا نثير التساؤلات حول مصطلحي القدس القديمة والقدس الجديدة؛ فقد أصبحت القدس في نهاية الحقبة العثمانية، عشية الحرب العالمية الأولى أكبر مدينة في فلسطين، والمركز السياسي والحضاري للبلد، وتألفت من المدينة المسورة، مع منشآت خارج الأسوار، وجنوب غربي المدينة المحاطة بالأسوار، وكان بعض هذه المنازل قصورًا بناها الأغنياء وأصحاب النفوذ، وكانت محاطة بالأراضي المزروعة وأشجار الفاكهة، وغالبًا ما وجدت فيها مطاحن أو معاصر للزيتون، وتتحدث روايات الرحالة العرب عن هذه المنازل الكبيرة في منطقتي البقعة وجبل الزيتون في العصرين المملوكي والعثماني.

مع منتصف القرن التاسع عشر، أصبح من المعتاد أن يمضي المقتدرون الصيف خارج الأسوار هربًا من حر المدينة القديمة، وكان



بيت المفتي المنزل الصيفي، الخاص بعائلة الحسيني أبرزها وقد شيد في ستينيات القرن التاسع عشر الميلادي، وأعيد بناؤه بفخامة بين سنتي ١٨٩٠ و١٨٩٥. خلال هذه الفترة تخطت عادة بناء منازل صيفية النخبة والفلاحين لتنتشر بين عائلات الطبقة الوسطى.

كان القلق الشديد إزاء الأمن السبب الرئيسي الذي يُعزى إليه البطء النسبي في توسع المدينة خارج الأسوار في البداية. فحتى السبعينيات من القرن التاسع عشر، كانت بوابات المدينة تغلق ليلاً وفي أثناء صلاة الجمعة عند المسلمين. لكن لابد من أن يؤخذ بعين الاعتبار أيضًا أن أسوار مدينة القدس كان يمكن أن تحيط بالسكان بسهولة لقلة عددهم، وبالتالي كان الحافز على ترك المدينة ضئيلاً، وكانت مسألة الأمن مرتبطة بعلاقات معقدة بين الوجود العثماني العسكري، والزعماء المحليين، و«قطاع الطرق» الذين كانوا يهاجمون الأشخاص غير المحميين ويسلبونهم، وعندما أصبحت القدس متصرفية في سنة ١٨٥٨، ازداد الحضور العثماني، الإداري والعسكري، الأمر الذي جعل المدينة تبدو أكثر أمنًا ومحمية على نحو أفضل، لكن الحقيقة أن العائلات القاطنة في حي النبي داود، المجاور لأسوار المدينة القديمة، وفي القرى القريبة الطور وسلوان والعيزرية ودير أبو ثور– وغيرها كانت تعيش قبل ذلك من دون أسوار، وبالتالي كان يمكن للعيش خارج الأسوار أن يكون آمنًا من الهجمات والغارات، إلا أن هذا ربما لم يكن ممكنًا بالنسبة إلى المهاجرين اليهود الذين لا يجيدون اللغة العربية، وليس لهم علاقات بالشيوخ والزعماء المحليين، والروايات الصهيونية والإسرائيلية التي تشدد على زيادة الأمن في النصف الثاني من القرن التاسع عشر باعتباره السبب الرئيسي في النمو خارج الأسوار، تكشف عن منظور أحادي الجانب إلى علاقات تلك الفترة وأحداثها.

مع ازدياد النمو في عدد السكان وتنامي الهجرة اليهودية، ازدادت العوامل التي تدفع السكان إلى البناء خارج المدينة القديمة المسورة، وكان من الدوافع الرئيسية إلى ترك المدينة الازدحام الشديد ومشكلات الصحة العامة، فالحصول على المياه في البلدة القديمة مشكلة، ولاسيما خلال أشهر الصيف الحارة، بينما كان في وسع القاطنين خارج الأسوار أن يحفروا آبارًا أسفل منازلهم لتخزين مياه الأمطار المنسابة من على سطوح المنازل خلال فصل الشتاء، فيخففوا بذلك من اضطرارهم إلى قطع مسافات طويلة من أجل الحصول على المياه، أو إلى تقنين استخدامها في الصيف.

إن الأغلبية العظمى من الدراسات المتعلقة بنمو المدينة الجديدة تركز على ظهور الأحياء المخطط لها، وقد أنشئت هذه الأحياء من قبل جمعيات بناء يهودية أو مشاريع خيرية حافظت على قواعد وأنظمة وسجلات مفصلة تفسر هذا الجانب الخاص من نمو البناء في المدينة الجديدة على أنه سعي منظم بصورة معقولة. لكن النموذج النظري القائم على التشديد على الأحياء ينطوي على إشكاليات لأنه يركز الاهتمام بصورة حصرية على طائفة شيدت أحياء منظمة، ويتعامل مع الأساليب الأخرى في بناء المنازل وتكوّن التجمعات السكنية على أنها شذوذ عن القاعدة، وهكذا لم تجد طريقها إلى كتب التاريخ إلا الأحياء المخطط لها فقط، إن التوثيق الدقيق لمشاريع البناء العربية في الفترة الأولى، والشبيه بالتوثيق المتعلق بمشاريع البناء اليهودية، شبه غائب، فمشاريع البناء العربية كانت تجري بصورة مختلفة؛ إذ كانت تتم إما بمبادرات فردية أو عائلية، وإما بمبادرات من أوقاف مسيحية. وكان التوسع العربي خارج الأسوار في الأساس مشروعًا خاصًا قائمًا على توفر الأرض ورأس المال العائلي، ويفتقر

إلى الإجراءات الرسمية والتنظيمية المتبعة في إنشاء الأحياء اليهودية، وقد عمد بعض العائلات المسلمة التي اشترت أرضًا وسكنت خارج الأسوار إلى تحويل أملاكها إلى أوقاف لإبقاء ملكية الأرض داخل العائلة، ولم تنشر بشأن هذا الموضوع سوى أبحاث قليلة، وبالتالي فإن محفوظات العائلات، وسجلات المحكمة الشرعية الإسلامية، ووثائق الأوقاف المسيحية، يمكن أن تكشف أكثر عن الممارسات التي تخص تحديد ملكية البناء والأراضي بالنسبة إلى المقدسيين العرب والأرمن واليونان، كما تزودنا المذكرات واليوميات والروايات الشفهية فهمًا أعمق لعملية البناء والحصول على الأراضي خارج الأسوار. ثمة دليل آخر يتعلق بتاريخ البناء في القدس ينطوي هو أيضًا على إشكالية، فخرائط كثيرة عائدة إلى تلك الفترة وضعها أجانب، ولهذا يظهر أثر الأنشطة الدينية والتبشيرية بصورة بارزة فيها، إن صفقات شراء الأراضي والمباني اليهودية والمسيحية موثقة جيدًا في سجلات أملاك الكنيسة والمؤسسات اليهودية وسجلات الحكومة العثمانية، وكانت تحفظ في ذاكرة كل طائفة وسجلاتها كمحطات مهمة في مسيرة توسعها في الأرض المقدسة، ولذا فإن هذه المصادر تميل إلى تجاهل البناء المحلي.

تتفق تواريخ القدس على أن أول حي بُني خارج أسوار المدينة القديمة كان مشكنوت شأنانيم، وهو مشروع بناء يهودي قام به موزس مونتفيوري، وكان عبارة عن عشرين منزلاً بدأ بناؤها في سنة ١٨٥٥ وأُنجز في سنة ١٨٦٠. كما بُني في الفترة نفسها عدد من المنازل الخاصة والمشاريع التبشيرية، بما فيها المسكوبية (أنجز بناؤها في سنة ١٨٦٠)، ومدرسة المطران غوبات على جبل النبي داود، وميتم شنلر، والبيت الصيفي للقنصل البريطاني فن في الطالبية، وتظهر في خريطة ويلسون لسنة ١٨٦٤ «مستوطنة يونانية» في الطالبية ودكاكين خارج باب الخليل ومقهى أرمني ومبنى حراسة تركي.

ظلت القدس جزءًا من الدولة العثمانية، إلى أن احتلها البريطانيون في نهاية سنة ١٩١٧، وجدوا مدينة تعاني الحرمان والصعوبات الناتجة عن الحرب العالمية الأولى، وعندما تركوها في سنة ١٩٤٨، تخلوا عما أصبح مدينة عالمية نابضة بالحياة.

شجعت الإدارة البريطانية في فلسطين النمو المطرد للقدس، من حيث المساحة والبنية التحتية، ونمت المدينتان، الجديدة والقديمة، باعتماد متبادل، وخصوصًا فيما يتعلق بصلات القرابة والعلاقات الاقتصادية والتجارية، ونجم عن ذلك تخصص في مجالات العمل والإنتاج وتقديم الخدمات في كل منهما، وكان معظم الأراضي خارج أسوار المدينة ملكًا للقرويين العرب والكنائس، أو لملاك مدنيين، لذا كان النمو العام حافزًا على البناء أو الاستئجار في الأحياء العربية الجديدة الفسيحة في المدينة الجديدة ومؤشرًا إلى الحراك الاجتماعي والطبقي، حيث البناء، أو الاستئجار في الأحياء العربية خارج الأسوار يتطلب على الأقل حدًّا معينًا من رأس المال، واختلف النمو العربي عن النمو اليهودي في المدينة الجديدة في هذين الأمرين، ففي بداية القرن العشرين، مر اليهود بأوقات أكثر صعوبة بالنسبة إلى شراء أراض في المدينة، كما أن من سكن منهم في المدينة الجديدة كانوا يمثلون طبقات متنوعة لا الطبقتين العليا والوسطى فقط. واختلفت المناطق السكنية العربية الجديدة من ناحية مهمة عن مثيلاتها في المدينة القديمة، حيث سكنت العائلة الواحدة في سياق الفصل، فإن هذه المناطق السكنية كانت جزءًا من سمات طبقة وسطى صاعدة ونظام قيم عصري جديد، بما فيها التشديد على التعليم والحياة العامة.

كانت الإدارة البريطانية لأراضي العدو المحتلة (OETA) في فلسطين، التي تولت مسئولية إدارة البلد خلال أول عامين ونصف عام من الاحتلال البريطاني، قد اتخذت من القدس مقرًّا لها، كما فعلت ذلك سلطة الانتداب البريطاني التي حلت محلها. واكتسبت القدس جرّاء كونها مقرًّا لرئاسة الإدارة السياسية للبلد، أهمية سياسية جديدة بالإضافة إلى أهميتها الدينية، كما نشأت حاجة إلى مساكن جديدة وخدمات أخرى للموظفين البريطانيين. وأدى الانتماء الطبقي والوضع الاقتصادي دورًا في اختيار مكان السكن؛ فالأجانب العاملون في القدس كانوا في معظمه موسرين، وفي وسعهم العيش حيث يشاؤون، وعلى الأغلب في القدس الجديدة.

اعتبر البريطانيون أن دورهم الرئيسي في القدس هو المحافظة على التراث التاريخي للمدينة. وبحسب ستورز، الحاكم العسكري للقدس، فقد تمثل هذا الدور «... ليس فقط في وضع مخطط للقدس بمقدار ما هو سن أنظمة لحماية طابعها الخاص». وتحقيقًا لهذه الغاية، أصدر ستورز في إبريل / نيسان ١٩١٨ البيان العام رقم ٣٤ بالإنجليزية والفرنسية والعربية والعبرية، أعلن فيه أنه «لا يجوز لأحد أن يهدم أو يبني أو يغير أو يصلح أي عمارة في مدينة القدس أو في محيطها داخل قطر ٢٥٠٠ متر ابتداءً من باب العمود، قبل الحصول على إذن خطي من الحاكم العسكري». ووضعت في هذه الفترة قيود على مواد البناء، تحظر استخدام الجص وصفائح الزينكو لبناء السقوف، وذلك «احترامًا لبناء العقود من الحجر، تراث القدس المقدس والموغل في القدم». ومنع في المدينة الواقعة داخل الأسوار والمنطقة المحيطة بها مباشرة لمدة ٢٥ عامًا، وفرضت أنظمة تحد من ارتفاع المباني لإبقاء أفق السماء مكشوفًا.

مع توسع المدينة الجديدة، شكلت الضواحي كتلة حول السور الشمالي والغربي للمدينة القديمة، وواصلت الامتداد جنوبًا وغربًا من هناك. وقد اشتملت الأحياء التي كانت أغلبية سكانها من العرب واليونان والأرمن، على أحياء باب الساهرة والشيخ جراح ووادي الجوز والمصرارة وماميلا والوعرية والنمرية (النمامرة) والقطمون والكولونية الألمانية والشيخ بدر. أما روميا وراتيسبون فكانا حيين مختلطين.

لم يكن جميع سكان المدينة الجديدة ممن انتقلوا إليها من داخل أسوار المدينة القديمة، فخلال النصف الأول من القرن العشرين، ازدادت الهجرة من بلدات وقرى الريف إلى المدن. وكان ليافا وحيفا والقدس نصيب من الفلسطينيين الباحثين عن العمل والفرص التعليمية المتزايدة في المدن.

مع نمو الأحياء وتطورها، ازداد في المناطق المتعددة عدد البقالات الصغيرة والأفران وأسواق الخضروات والفاكهة والجزارين. واعتمد هؤلاء التجار الصغار على صلاتهم بالقرى والمدينة القديمة للحصول على السلع، كما اشتروا بضائع بالجملة من التجار الأكبر منهم. فالجزار كالوتي كان يشتري اللحم لدكانه في القطمون من «سوق الجمعة» التي كانت تقام بالقرب من حي مونتفيوري، حيث يجلب القرويون مواشيهم لبيعها. وأحيانًا كان يشتري الذبائح من خان الزيت في المدينة القديمة. وبالإضافة إلى تزويد الأحياء الغنية باللحوم، كان الجزار يقايض اللحوم بالمنتجات الزراعية التي كان يجلبها القرويون إلى المدينة. ودكان فريج لبيع المشروبات الكحولية «اشترى العرق من بيت لحم ورام الله، والنبيذ والمشروبات الأخرى من اليهود في ريشون (جنوبي تل أبيب)، وباعها للعرب».

لقد كانت ضواحي المدينة الجديدة وشوارعها سوقًا لتجار وحرفيين كثيرين لعرض منتجاتهم ومهاراتهم. وأتاح ذلك لمن لم

يكن لديهم رأس مال كاف لاستثماره في فتح دكان أن يشاركوا في الاقتصاد كتجار وحرفيين صغار، وأن يبقوا مستقلين من دون عقود مع الدكاكين لبيع بضائعهم للتجار بأرباح منخفضة. وكما في فترات سابقة، واصل القرويون جلب الخضروات والفاكهة والتجول في المدينة لبيعها. «الكولونية اليونانية والكولونية الألمانية والبقعة والقطمون كانت تخدمها القرى العربية الواقعة إلى الجنوب منها، بيت صفافا والمالحة والولجة وبتير وصور باهر. وكان يؤتى إلى أبواب المنازل بالبندورة والخيار والباذنجان والفول وأنواع كثيرة من الفاكهة.. المشمش والتفاح والسفرجل والعنب والتين». وكان الباعة المتجولون يأتون أيضًا لبيع الحلويات ومشروبات عرق السوس والتمر الهندي والخروب والكعك بالسمسم والبوظة والحمص الأخضر المشوي واللوز الأخضر، وغيرها من المأكولات والمشروبات الموسمية. وكان يؤتى بالحطب على ظهور الجمال من أجل التدفئة. وكان باعة الجاز يتجولون في عربات تجرها الخيول لملء المدافئ. وكان بين الحرفيين المتجولين المجلخون والإسكافيون. كما جاب الشوارع الغجر من قارئي البخت، والقرداتية، وغيرهم من



أصحاب الحيوانات المدربة على اللعب و«صندوق العجب»، وهو عبارة عن حكواتي صندوق يحتوي على صور ملونة متحركة.

عكست الحياة الاجتماعية والثقافية للقدس في النصف الأول من القرن العشرين الطابع العالمي لسكانها، وشملت الكثير من الفرص التعليمية، وحياة اجتماعية متنوعة، وصحافة ووسائط إعلام نشيطة، وأنواعًا متعددة من الأنشطة والأندية. وعلى الرغم من الحياة المنفصلة لكل من التجمعات العربية واليهودية، فقد كان هناك بعض الاختلاط، وخصوصًا في المجالين الثقافي والاجتماعي. أما في الأوساط العربية الفلسطينية، ولا سيما النخبة والمتعلمين منهم، فقد كان الانفصال الطائفي أقل. فالمسلمون والمسيحيون يختلطون على المستوى الاجتماعي ويدرسون معًا، لكن بسبب أهمية العلاقات العائلية، بقي الناس على صلة وثيقة جدًا بطوائفهم. وتتنوع المصادر بشأن مجتمع القدس كموضوع للدرس، وتعكس الروايات الرسمية وشبه الرسمية والوثائق انشغالاً مبالغًا فيه بالإحصاءات المتعلقة بالتقدم. أما الروايات الشفهية والسير الذاتية، فإنها ترى الحياة من منظور أولئك الذين عاشوا وعملوا في المدينة، لكنها تنطوي على مشكلات متعددة ناجمة عن صعوبة الاعتماد على الذاكرة وإعادة تركيبها للأحداث، وخصوصًا إذا أخذنا في الاعتبار صدمة الخسارة والترحيل إلى مكان آخر. وفي محاولة لبث الحياة في الروايات الرسمية، ولضمان أن تكون الروايات الرسمية، ولضمان أن تكون الروايات الشفهية والذكريات متوافقة تاريخيًّا، لابد من استخدام نوعين من المصادر كوسيلة لفهم التغيرات التي حدثت في المدينة، وكيف صاغ السكان الحياة في المدينة الجديدة وتفاعلوا معها.

كان من تأثيرات ازدياد المعرفة بالقراءة والكتابة ازدياد إقبال السكان على الكلمة المكتوبة، الأمر الذي أوجد سوقًا للمادة المطبوعة. فبعد الاحتلال البريطاني للقدس بفترة وجيزة، أصدر الفلسطينيان عارف العارف وحسن البديري جريدة اسمها «سورية الجنوبية». وكانت أول صحيفة تأخذ موقفًا ضد الانتداب البريطاني في القدس وضد وعد بلفور، الذي دعا إلى إنشاء وطن قومي لليهود في فلسطين. وفي سنة ١٩١٩ أسس بولس شحادة جريدة باسم «مرآة الشرق»، صدرت باللغتين العربية والإنجليزية. وفي سنة ١٩٢١ قدمت الجريدة عمودًا بعنوان أقلام السيدات نشرت فيه مقالات بقلم رائدات في الحركة النسائية مثل أسمى طوبي وقدسية خورشيد، ودعت القارئات من النساء إلى المساهمة فيه. وقد أغلقت الإدارة البريطانية هذه الجريدة في سنة ١٩٣٩، لفترة غير محدودة لنشرها قصيدة تحريضية ضدها. ومع نهاية الانتداب كان هناك أنواع متعددة من الجرائد والدوريات والمجلات تصدر في القدس؛ وتوفرت فيها أيضًا جرائد يومية ومنشورات أخرى تصدر في مدن وبلدات أخرى في فلسطين، وفي أجزاء أخرى من العالم العربي أيضًا، ويتذكر جبرا «وكانت هناك المجلات المصرية تأتينا كل أسبوع بالمعرفة والفكاهة وصراعات القاهرة السياسية ومعاركها الأدبية».

شاعت المكتبات التجارية في القدس. ولم تكن تبيع كتبًا محلية ومستوردة، ومجلات وجرائد بالعربية وغيرها من اللغات فحسب، بل أيضًا قرطاسية للمدارس والمكاتب. ويذكر عارف العارف أسماء اثنتي عشرة مكتبة تجارية، ويضيف: «ولست أغالي إن قلت أنه قلّ أن يُطبع في الشرق أو الغرب كتاب، ويذيع صيته إلا وتجده في إحدى هذه المكتبات».

عند نهاية الانتداب البريطاني على فلسطين في سنة ١٩٤٨، كانت القدس ثاني أكبر مدينة في فلسطين؛ إذ بلغ عدد سكانها

١٦٤,٣٣٠ نسمة، منهم ٩٩,٣٢٠ يهوديًا و٦٥,٠١٠ من المسلمين والمسيحيين. وكان أغلب اليهود ونصف المسلمين والمسيحيين يعيشون في المدينة الجديدة. وخلال القتال في سنة ١٩٤٨ سقط معظم المدينة الجديدة بيد القوات الصهيونية، التي أصبحت لاحقًا الجيش الإسرائيلي. وسيطرت القوات العربية على المدينة القديمة والأطراف الشرقية في المدينة الجديدة. وفي أثناء القتال هرب أو أُجلي ٣٠,٠٠٠ فلسطيني عن منازلهم في المدينة الجديدة، وأُجلي ٢٠٠٠ يهودي عن منازلهم في الحي اليهودي من المدينة القديمة. وثبتت اتفاقية الهدنة تقسيم المدينة إلى ما أصبح يعرف بالقدس الغربية، داخل حدود دولة إسرائيل الجديدة، والقدس الشرقية، التي أصبحت مع الضفة الغربية جزءًا من الأردن. ولجأ نحو ٣٠,٠٠٠ فلسطيني من سكان القدس الغربية بصورة مؤقتة إلى المدينة القديمة وأجزاء أخرى من الضفة الغربية، وإلى الأقطار العربية المجاورة. ولسنوات طويلة عقب سنة ١٩٤٨، واصل هؤلاء المقدسيون تنقلهم إلى أماكن لجوء جديدة سعيًا وراء عمل وعائلة وأماكن للعيش.

وعلى رغم كل ما لحق بما أشاده العرب والمسلمون في فلسطين من مبان وآثار من أضرار على أيدي هؤلاء الغزاة إلا أننا نستطيع أن نشهد كمًّا هائلاً من العمارة والفن لاتزال معالمه قائمة ومنتشرة في كافة أنحاء القدس الشريف وغيره من مدن فلسطين.

وأخيرًا لا يجب أن يفوتنا أن نشير إلى بعض القائمين على خدمة مقدسات الحرم القدسي الشريف، ومنهم الدليل يحيى عمر الدنف الأنصاري، وهو من عائلة مشهورة في القدس وهي من العائلات التي تحتفظ بمخطوطات نادرة عن القدس وتحتفظ أيضًا بوثائق عائلية تخص الأوقاف التي حبسها أجدادها على ذريتهم وعلى المؤسسات الخيرية والعامة.

ويعد فهمي الأنصاري واحدًا من أشهر رجالات القدس المعاصرين الذين حملوا راية الحفاظ على تراث الآباء والأجداد المتعلق بالأوقاف ومن أفراد عائلته أيضًا، الشيخ محمد أمين الدين ابن عمر الدنف الأنصاري المقدسي الذي كان قيمًا متفرغًا على المكتبة الخالدية في القدس، وهناك من عائلة الدنف الأنصاري رشيد أفندي ابن عبد الله أفندي الدنف من خدمة المسجد الأقصى وهناك محمد داود أفندي الدنف الأنصاري قيمباشي صخرة الله المشرفة والشيخ بدر بن إسماعيل الدنف وجميعهم من خَدَمَةِ المسجد الأقصى.

وهناك توفيق أفندي بن خليل أفندي الدنف، والشيخ داود أفندي ابنا الشيخ محمد داود أفندي الدنف، والشيخ توفيق ابن الشيخ خليل الدنف سرقيم باشي صخرة الله المشرفة، والحاج مصطفى بن إسماعيل الدنف الشيخ عمر أفندي الدنف، والشيخ داود أفندي الدنف خليل أفندي الدنف سرقيم باشي صخرة الله المشرفة، والشيخ عبد القادر أفندي ابن الشيخ محمد الدنف قيمباشي الصخرة المشار إليها، وتزكية الشيخ توفيق من الشيخ أمين أفندي، والسيد محيي الدين أفندي ابنا الشيخ عمر أفندي الدنف من خدمة المسجد المشار إليه، والشيخ محمود الشيخ داود الدنف الأنصاري.

الحياة العلمية في القدس

عندما استرجع صلاح الدين الأيوبي بيت المقدس عام ٥٨٣هـ/ ١١٨٧م، كان للمدينة جاذبية خاصة في عيون المسلمين مثلها مثل مكة والمدينة، فقد ارتبطت في الوجدان الإسلامي بكونها أولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين، فضلاً عن ارتباطها بقصة الإسراء والمعراج، تلك الجاذبية الخاصة التي تتضح أشد الوضوح عند مثقفي ذلك الزمان، ولا سيما من تخصص منهم في العلوم الدينية.

وقد شهدت تلك الفترة وفودًا كثيرة من الأسرات العربية المسلمة من المشرق والمغرب إلى بيت المقدس، نظرًا لوضعها الجديد والذي حظيت خلاله بنوع من الأمن والاستقرار، مما شجع الكثيرين على الهجرة إليها والاستقرار بها، خاصة العلماء الذين كانوا يفدون إلى بيت المقدس ليسمعوا التفسير والحديث والفقه في المسجد الأقصى، فضلاً عن عدد كبير من المدارس التي وجدت بالمدينة.



وقد تمتعت بيت المقدس في عصر سلاطين المماليك على وجه التحديد بحياة علمية ذات منزلة رفيعة، فالمصادر والمراجع تشير إلى أن مدينة القدس غدت في عصر سلاطين المماليك مهوى أفئدة كثير من العلماء وطلبة العلم في ذلك الوقت، بجانب صبغتها الدينية، مع تعدد مدارسها التي حظيت برعاية وعناية الحكام من سلاطين وأمراء والكثيرين من أهل البر، والذين جادوا لها بالأموال والعقارات التي خصصت لأعمال الخير وكان ينفق من ريعها على العلماء وطلبة العلم، فضلاً عن تعدد مساجدها وزواياها التي تعقد فيها حلقات التدريس كذلك أنجبت القدس الكثير من العلماء الذين أثروا الحياة العلمية بنتاجهم والتي تمثلت في عدد كبير من المؤلفات والرسائل

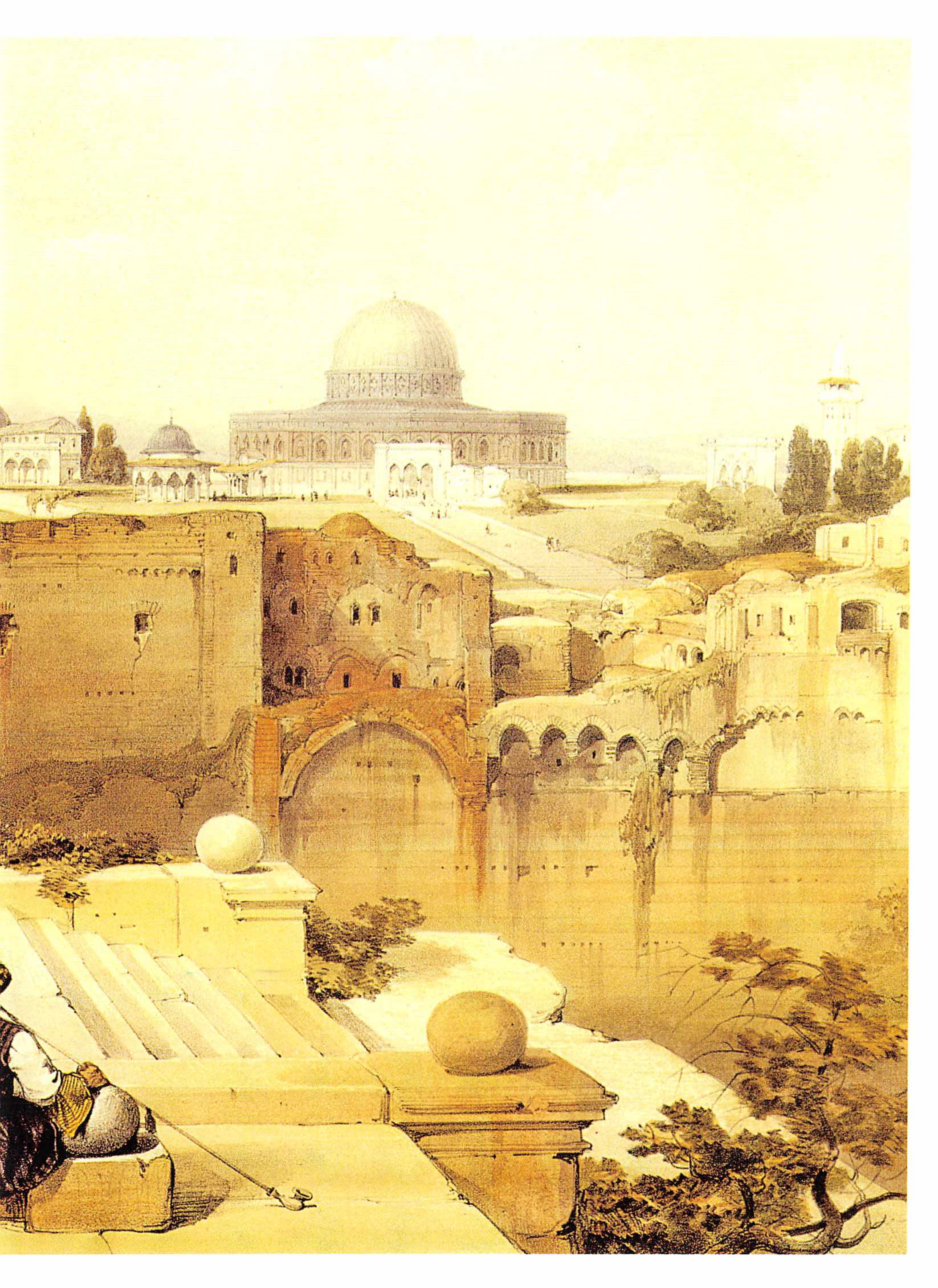


والمصنفات؛ خاصة في مجال العلوم الدينية ومنها علوم الحديث والتفسير والفقه واللغة والأدب والبلاغة والتاريخ والحساب والجبر والمقابلة والمنطق والتصوف ، ومن علماء مدينة القدس:

ابن غانم المقدسي (٦٧٨هـ/ ١٢٧٩م) هو الحافظ عز الدين عبد السلام أحمد بن غانم المقدسي، حكيم، صوفي، واعظ، من تصانيفه «حل الرموز ومفاتيح الكنوز» ، «كشف الأسرار عن الحكم المودعة في الطيور والأزهار» و«الروض الأنيق في الوعظ الرشيق».

ابن قدامة الحنبلي وهو الإمام شمس الدين أبو محمد عبد الرحمن ابن محمد بن أحمد بن محمد بن قدامة الحنبلي المقدسي، كان إمامًا فقيهًا، ورعًا زاهدًا، انتهت إليه رئاسة مذهب الإمام أحمد ابن حنبل في زمانه، وشرح كتاب «المقنع» في الفقه من تأليف عمه شيخ الإسلام موفق الدين رحمه الله.

كما برز كثير من مشاهير علم التصوف ومنهم الشيخ برهان الدين إبراهيم بن علي بن إبراهيم بن يوسف الحسني العراقي المقدسي الشافعي، وله كتاب في علم التصوف تحت اسم «تحفة



الطلاب ومنحة الوهاب في الآداب من الشيخ والأصحاب»، ومن مشاهير علم الأدب والنحو فمنهم نجم الدين الطوخي الصرصري، وله عدة مصنفات في الأدب منها «الرحيق المسلسل في الأدب»، و«تحفة أصل الأدب في معرفة لسان العرب»، ومنهم أيضًا ابن جبارة المقدسي الذي اشتغل بعلوم العربية، وقد صنف شرحًا آخر للرائية في الرسم. أما علم التاريخ فقد كان له نصيب بارز من نشاط وازدهار الحياة العلمية في مدينة القدس، يشهد بذلك بروز عدد من الأعلام الذين أنجبتهم المدينة وارتبطت حياتهم بها، ومن أشهر مؤرخي بيت المقدس ابن فضل الله العمري (٧٤٩هـ/ ١٣٤٨م)، ومجير الدين الحنبلي (٩٢٨هـ/ ١٥٢١م). وفي مجال الرياضيات فقد شهدت مدينة بيت المقدس نشاطًا ملحوظًا في هذا المجال، وبرع كثير من أبنائها في هذا المضمار، ومنهم عبد الرحمن بن محمد بن إبراهيم بن عبد الله بن أبي عمر المقدسي الخطيب شمس الدين أبو الفرج ابن العز الحنبلي الفرضي، الذي اشتغل بالعلم ومهر في الفرائض وانتفع به الناس، وموسى بن محمد الخليلي، وله العديد من المؤلفات منها تلخيص في معرفة أوقات الصلاة وجهة القبلة عند عدم الآلات، ورسالة في الأسطرلاب ومعرفة الأوقات. ومن علماء الرياضيات الذين وفدوا إلى

القدس وارتبط اسمهم بها شيخ الإسلام شهاب الدين أبو العباس أحمد بن عماد الدين ابن علي المصري والمعروف «بابن الهائم»، وكان قد اشتغل بالقاهرة ومهر في الفرائض والحساب ثم جاء إلى القدس ومن مؤلفاته «ترغيب الرائض في علم الفرائض» و«الحاوي في الحساب»، وشرح الأرجوزة الياسمينية في الجبر والمقابلة و«الفصول المهمة في مواريث الأمة»، و«نزهة النفوس في بيان حكم التعامل بالفلوس»، كذلك له مخطوطة بدار الكتب المصرية تحت عنوان «مرشدة الطالب إلى أسنى المطالب» في علم الحساب وفيها تناول القسمة بأنواعها والطرح، كما تحدث فيها عن الكسور واستعمالاتها وهي مخطوطة لا غنى عنها لدارس الرياضيات، وتدل بما فيها على غزارة معلومات مؤلفها ومدى ما وصل إليه علمه في هذا المجال. وفي مجال الطب في القدس كان يمثل مدرسته في العصر الأيوبي الطبيب يعقوب بن سقلاب المكي المقدسي، الذي ولد بالقدس الشريف، كانت معالجات الحكيم يعقوب غاية في الدقة والنجاح، ذلك إنه كان يتحقق من معرفة المرض أولاً تحققًا لا مزيد عليه ثم يشرع في مداواته بالقوانين التي ذكرها جالينوس مع تصرفه هو فيما يستعمله في الوقت الحاضر، وكان أيضًا شديد البحث واستقراء الأعراض، بحيث إنه كان إذا انتقد مريضًا لايزال يستقصي منه عرضًا وما يشكوه



مما يجده، إلى أن لا يترك عرضًا يستدل به على تحقيق المرض إلا ويعتبره، فكانت معالجاته لا مزيد عليها في الجودة دائمًا.

ومن أطباء العصر المملوكي إسماعيل بن إبراهيم بن سليمان المقدسي الذي اعتنى بالطب فمهر فيه، ومنهم أيضًا جمال الدين يوسف بن أحمد بن عبد الهادي المقدسي الحنبلي الذي ترك لنا أحد مؤلفاته في الطب تحت عنوان «الإتقان في أدوية اللثة والأسنان» ولعل هذا دليل أيضًا على وجود بعض الأطباء المتخصصين في فروع الطب المختلفة في ذلك العصر.

كذلك وجد بالقدس عدد من الأطباء من أبناء أهل الذمة كانوا يقومون بمعالجة أبناء طوائفهم المختلفة بالإضافة إلى المسلمين، فكان بعض اليهود يشتغلون بالطب، ويورد لنا الرحالة فابري ما يستدل منه على وجود بعض الأطباء لدى طائفة الرهبان الفرنسيسكان في ديرهم في جبل صهيون، حيث كانوا يقومون بخدمة الحجاج المسيحيين، فيأخذون المرضى منهم إلى مستشفى داخل ديرهم الخاص، وقد رأى ذلك بنفسه عندما كان يقيم بينهم.

ومن أبرز المؤسسات التعليمية في القدس في العصرين الأيوبي والمملوكي:

المدرسة النصرية: تنسب إلى الشيخ نصر بن إبراهيم المقدسي، الشافعي، المتوفى سنة ٤٩٠هـ، وقيل إنها المدرسة الناصرية، والصحيح المدرسة النصرية، نسبة إلى الشيخ نصر المقدسي، ثم نُسبت هذه المدرسة النصرية إلى الإمام الغزالي، عندما أقام في بيت المقدس عام ٤٨٩هـ.

كانت هذه المدرسة من المعاهد العلمية في بيت المقدس، وكانت ذات دور كبير في الحركة الفكرية فيه في القرن الخامس الهجري، أو قبيل الغزو الصليبي لبيت المقدس، وقد خصصت للقرآن والقراءات والعربية، ودرس فيها العديد من أشهر العلماء، ويكفي أن نذكر أن الشيخ نصر بن إبراهيم المقدسي، والإمام أبا حامد الغزالي، وغيرهما من العلماء الأجلاء كانوا من أعلامها، وقد اشتغل الشيخ نصر المقدسي بالتدريس والإفتاء، وحدث، وسمع منه طالبو العلم، وأملى مجالس كثيرة، وصنف مصنفات عديدة في الفقه والحديث، وغيرهما، كما قضى الغزالي أوقاته، في بيت المقدس، في الاشتغال بالعلم، وشارك في الحركة الفكرية، وأخذ عنه طالبو العلم، وصنف رسالة سماها «الرسالة القدسية في قواعد العقائد» لأهل بيت المقدس، فقد كتبها لهم مفردة، ثم أودعها في كتاب إحياء علوم الدين.

وبعد تحرير بيت المقدس من الاحتلال الصليبي عام ٥٨٣هـ، جُددت المدرسة في عهد الملك المعظم عيسى، وجعلها زاوية لقراءة القرآن، والاشتغال بالنحو، ووقف عليها كتبًا من جملتها: «إصلاح المنطق» لأبي يوسف يعقوب بن إسحاق بن السكيت، وقد وقفها في التاسع من ذي الحجة سنة ٦١٠هـ.

الزاوية الوفائية: تقع بباب الناظر تجاه المدرسة المنجكية عند سور الحرم على يمين الداخل إليه من باب الناظر، ولها أهمية تاريخية؛ إذ كانت تعرف قديمًا بدار معاوية بن أبي سفيان؛ فقد سكن بها عند زيارته بيت المقدس، وقد اشتراها الشيخ تاج الدين أبو الوفا محمد سنة ٧٨٢هـ على إثر انتقاله إلى القدس، وكان الشيخ تاج الدين المتوفى سنة ٨٠٣هـ شيخ الوفائية في بيت المقدس.

المدرسة السلامية: تقع المدرسة السلامية بباب شرف الأنبياء تجاه المدرسة المعظمية، وهي بجوار المدرسة الدويدارية من جهة الشمال، واقفها مجد الدين أبو الفدا إسماعيل السلامي، وتاريخ المبنى والوقف غير معروف على وجه الدقة، وعلى الأرجح أنه بعد السبعمائة، ومن شيوخ هذه المدرسة: محمد بن خليفة عبد الرحمن بن مسعود بن



محمد؛ أبو عبد الله المغربي الجابري، ويعرف بابن خليفة، وهو من قبيلة بني جابر بالمغرب، وولي مشيخة المغاربة في بيت المقدس.

المدرسة الوجيهية: تقع المدرسة الوجيهية بخط درج المولى، وهو الدرج الذي يبدأ عند باب الغوانمة، بجوار المدرسة المحدثية من جهة الغرب، وهي أولى مدارس الحنابلة في مدينة القدس، وبنيت في زمن المماليك البحرية، وقد وقفها الشيخ وجيه الدين محمد بن عثمان بن أسعد بن النجا الحنبلي المتوفى في شعبان سنة إحدى وسبعمائة.

ومن شيوخ هذه المدرسة: الشيخ عبد الرحمن شيخ الوجيهية، وهو من جماعة الحنابلة في القدس الشريف.

المدرسة الجاولية: وهي قريبة من درج الغوانمة عند زاوية الحرم الشمالية إلى الغرب، وقفها الأمير علم الدين سنجر الجاولي، نائب غزة والقدس، وجعلها مدرسة سنة ٧١٥هـ، وكان من أهل العلم، وله مصنفات، وترجمته في طبقات الشافعية، توفي في رمضان سنة خمس وأربعين وسبعمائة.

المدرسة الكريمية: تنسب إلى واقفها الصاحب كريم الدين عبد الكريم ابن مكانس، شيدها في سنة ٧١٨هـ/ ١٣١٨م، ولها كتاب وقف ذكره مجيد الدين العليمي الحنبلي، كان كريم الدين محبًّا للعلم والعلماء، مهتمًّا بهما. وقد قامت هذه المدرسة بدورها في الحركة الفكرية في القدس، وتولى مشيختها والتدريس فيها عدد من العلماء، واستمر التدريس فيها حتى القرن الثاني عشر الهجري/الثامن عشر الميلادي. وتتكون هذه المدرسة من عدد من الغرف المتباينة الحجم والمساحة، وكانت تستعمل للتدريس، وسكنى المدرسين وطالبي العلم.

المدرسة التنكزية: وتنسب إلى واقفها الأمير سيف الدين تنكز ابن عبد الله الناصري، المتوفى سنة ٧٤١هـ، وكان قد أنشأها في سنة ٧٢٩هـ، وكانت تضم خانقاه، ودارًا للحديث، ودارًا للقرآن ومدرسة، وكلها معاهد علمية لها دور في الحركة الفكرية في بيت المقدس. وهناك أيضًا المدرسة الملكية والتي تنسب إلى منشئها ملك الجوكندار الملكي الناصري، وقد أنشأها في سنة ٧٤١هـ في عهد الناصر محمد بن قلاوون وسميت المدرسة باسمه، ومن العلماء الذين درسوا بها الشيخ أبو عبد الله الغرناطي الأندلسي، والذي قام بتدريس الفقه المالكي، واستمر الغرناطي مشتغلاً بالتدريس في بيت المقدس إلى أن توفي في سنة ٧٤٦هـ، كما درس بها قاضي القضاة جمال الدين أبو محمد عبد الله الهلالي الأنصاري المالكي، المشهور بابن الشحاذة، حيث نشأ يتيمًا فقيرًا، لكن أمه هيأت له أن يشتغل بالعلم، وكانت تقول له «يا ولدي اشتغل بالقرآن، وأنا أقوم بكفايتك فيما تحتاجه»، فكان يقرأ وتذهب هي تسأل الناس، وتأتي له بما يقوته، وقيل عنه إنه حفظ القرآن، واشتغل بالعلم في مذهب الإمام مالك، وانتهى به الحال إلى أن ولي القضاء ببيت المقدس، فكان أول قضاة المالكية.

المدرسة الأمينية: هي بالقرب من باب شرف الأنبياء المعروف «بباب الدويدارية» وواقفها أمين الدين عبد الله في سنة ثلاثين وسبعمائة، وكان شيخ هذه المدرسة أو الزاوية يعين بتوقيع من نائب السلطنة في دمشق، كان لهذه المدرسة دور هام في الحركة الفكرية بالقدس، وكان يعقد بها المجالس، واستمرت تؤدي دورها العلمي حتى أوائل القرن الرابع عشر الهجري.

تتكون هذه المدرسة من طابقين من البناء، وفيهما عدد من الغرف الكبيرة المساحة والصغيرة، وكانت تستعمل للتدريس والسكنى، وكان التدريس يتم في الطابق الأول، وهو يضم اليوم مجموعة من قبور الصالحين والعلماء، ومنهم جماعة «آل الإمام».

المدرسة الملكية: تقع شمال الحرم بين المدرسة الفارسية والمدرسة الأسعردية، على يمين الداخل إلى الحرم من الباب المعروف بشرف الأنبياء، وتسمى أيضًا مدرسة «الجوكندار» نسبة إلى معمرها الحاج ملك «الجوكندار» في سلطنة الملك الناصر محمد بن قلاوون سنة ٧٤١هـ، أما الواقف عليها، فإنه من زوجة ملك بنت السيفي قلطقتم الناصري، وتاريخ وقفها في السادس عشر من ربيع الآخر من سنة خمس وأربعين وسبعمائة، والظاهر أن زوجها عمّرها لها من مالها، ومن مدرسيها: الشيخ الإمام سراج الدين أبو حفص عمر ابن نجم الدين عبد الرحمن القباني الحنبلي، كان إمامًا زاهدًا عابدًا، أفتى ودرّس وحدث وباشر مشيخة المالكية في القدس إلى أن مات سنة ٧٥٥هـ.

المدرسة الطولونية: تقع بداخل المسجد فوق الرواق الشمالي، ويصعد إليها من السلم المتوصل منه إلى منارة باب الأسباط، وهي التي أنشأها شهاب الدين أحمد بن الناصري محمد الطولوني في زمن الملك الظاهر برقوق على يد مملوكه أقبغا قبل سنة ٨٠٠هـ،

ولم يكتب لها كتاب وقف إلا في شهر رجب سنة ٨٢٧هـ، تولى التدريس فيها الإمام العلامة شهاب الدين أبو البقاء أحمد الزبيري المصري، الذي قدم القدس سنة ٨٣٠هـ، وتوفي فيها سنة ٨٥٤هـ.

المدرسة الفنرية: تقع عند منارة باب الأسباط شرق المدرسة الطولونية، ويصعد إليها من السلم المتوصل منه إلى منارة باب الأسباط، وهي من إنشاء شهاب الدين الطولوني، عمّرها مع مدرسته المتقدم ذكرها، وجعلها للملك الظاهر برقوق، فلما توفي برقوق، وآل الأمر إلى ولده الملك الناصر فرج، وقف لها قرى، وأقام نظامها، ولما توفي الناصر فرج لم يكن لها كتاب وقف، فاشتراها بعد وفاته رجل من الروم يقال له محمد شاه بن الفنري الرومي، ووقفها، فنسبت إليه، وسميت الفنرية، ومن شيوخ الفنرية: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن بدر الدين محمود الحنفي، الذي قدم بيت المقدس وأقام به مدة يسيرة، ثم توفي سنة ٨٩٦هـ، ودفن في باب الرحمة، ويتضح من تراجم المدرسين أن المدرسة ظلت قائمة ثلاثة قرون على الأقل، لكن بناءها هُدم مع الزمن.

المدرسة الباسطية: تقع شمال الحرم قريبة من باب العتم، أول من اختطها شيخ الإسلام شمس الدين محمد الهروي «ناظر الحرمين الشريفين»، ولما توفي قبل إتمامها عمّرها القاضي زين الدين عبد الباسط بن خليل ناظر الجيوش المنصورة في سنة ٨٣٤هـ وشرط على الصوفية قراءة الفاتحة عقب الحضور، وإهداء ثوابها إلى الهروي، ووقفها في شهر جمادى الأولى سنة ٨٣٤هـ، ومن الذين تولوا التدريس فيها: العالم المحدث شمس الدين أبو عبد الله محمد، الشهير بابن المصري، المتوفى سنة ٨٤١هـ.

المدرسة الغادرية: تقع على بابي حطة والأسباط غرب المئذنة، بين المدرسة الكريمية والمدرسة الطولونية، واقفها الأمير ناصر الدين محمد بن دلغادر، بُنيت في عهد السلطان الأشرف برسباي سنة ٨٣٦هـ، وقد عمّرتها زوجة دلغادر «مصر خاتون»، ولم يوجد لها كتاب وقف، فكتب محضرًا من ماله بوقفها، ومن شيوخها: الشيخ الإمام شرف الدين أبو الأسباط يعقوب بن يوسف الرومي الحنفي، وكان من أكابر الحنفية، ولي مشيخة المدرسة الغادرية، واشتغل عليه الطلبة، وانتفعوا به، وأفتى ودرّس، توفي في المدرسة الغادرية سنة ٨٦٩هـ، ودفن بباب الرحمة.

المدرسة العثمانية: تقع بباب المتوضأ، واقفتها امرأة من أكابر الروم اسمها أصفهان شاه خاتون، وتدعى خاتم، وعلى بابها تاريخها في سنة ٨٤٠هـ، والدخول إلى المدرسة يتم من بوابة جميلة كبيرة مزدانة بالزخارف المأثورة عن عهد المماليك إلى دركاه، ثم إلى صحن صغير، وتعد المدرسة العثمانية من المدارس المهمة في القدس، ويظهر ذلك ممن تولوا التدريس فيها، وأكثرهم من كبار علماء الحنفية في القدس، مما يدل على أن المدرسة كانت من أهم مدارس الحنفية، ومن شيوخها: «الشيخ الإمام العالم العامل الصالح سراج الدين سراج بن مسافر بن زكريا بن يحيى بن إسلام بن يوسف الرومي الحنفي؛ عالم الحنفية في القدس الشريف... قدم القدس في سنة ٨٢٨هـ، وأقرأ الناس العلوم العقلية والتفسير، وولي مشيخة المدرسة العثمانية بالقدس الشريف».

من هذا العرض يتضح لنا أن مدينة بيت المقدس كان لأبنائها مشاركة فعالة في كافة المجالات العلمية المختلفة من أدب ونحو فقه وحديث وطب ورياضيات، بل كان لهم أكبر الأثر أيضًا في علوم الفلك والكواكب وغير ذلك من العلوم.

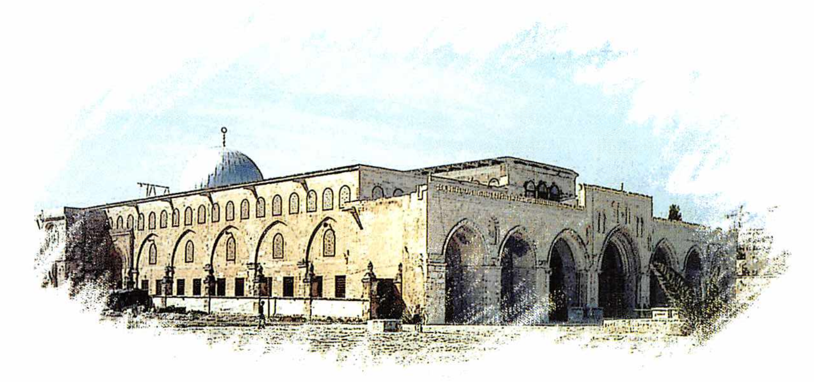
المسجد الأقصى

للمسجد الأقصى مكانة رفيعة في العقيدة الإسلامية، فقد أسري بالرسول محمد صلى الله عليه وسلم إليه، ومن رحابه عرج به إلى السماء، وهو أولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين، وهو يقع في الجهة الجنوبية من الحرم القدسي الشريف، أمر ببنائه في موقعه القديم الخليفة عمر بن الخطاب، بعد فتح بيت المقدس بصورة بسيطة، و لم يسهب المؤرخون في وصف عمارته.

تاريخ المسجد الأقصى

تعددت الروايات حول من بنى المسجد الأقصى، فمنها ما تقول بأن الملائكة هم الذين بنوا المسجد الأقصى بأمر الله عز وجل بعد أن كانوا قد بنوا المسجد الحرام قبل ذلك بنحو أربعين سنة، وذلك اعتمادًا على الحديث الشريف، روى البخاري في صحيحه عن أبي ذر رضي الله عنه قال: «قلت يا رسول الله أي مسجد وضع في الأرض أول؟ قال: المسجد الحرام، قلت: ثم أي؟ قال: المسجد الأقصى، قلت: كم كان بينهما؟ قال: أربعون سنة».

وهناك رواية ثانية حول بناء المسجد الأقصى المبارك، إذ يذكر القرطبي في «الجامع لأحكام القرآن»: أن آدم عليه السلام هو أول من بنى البيت؛ ويعني بذلك المسجد الحرام. ويجوز أن يكون ولده قد بنى البيت في القدس الشريف بعد ذلك بأربعين سنة، كما يذكر القرطبي أن سيدنا إبراهيم عليه السلام كان قد جدد بناء البيت الحرام الذي أسسه غيره، معتمدًا في ذلك على تفسير الآية الكريمة «وإِذْ يَرْفَعُ إبْراهِيمَ القَوَاعِدَ مِنَ البَيْت»، فهي من وجهة نظر القرطبي ليس فيها ما يفيد أن إبراهيم عليه السلام هو أول من بنى المسجد الحرام بمكة المكرمة، وعليه يمكن أن يكون قد جدده، وهذا



الأمر نفسه ينطبق على الرواية القائلة بأن سليمان عليه السلام هو الذي بنى المسجد الأقصى في مدينة القدس، وتعتمد هذه الرواية الثانية على ما رواه الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه حين قال: «أمر الله تعالى الملائكة ببناء بيت في الأرض، وأن يطوفوا به، وكان هذا قبل خلق آدم، ثم إن آدم بنى منه ما بنى، وطاف به، ثم الأنبياء، ثم استتم بناءه إبراهيم عليه السلام»، ومعروف أن أول بيت بني في الأرض هو البيت الحرام، وثاني بيت بني في الأرض هو المسجد الأقصى استنادًا إلى حديث الرسول الذي ورد ذكره من قبل، وعليه سميت القدس في فترة معينة باسم بيت المقدس، وبيت المقدس نسبة إلى المسجد الأقصى المبارك، كما أن اسم مدينة القدس كان يسبقه أحيانًا كلمة بيت وأحيانًا كلمة مسجد، مثل مسجد إيلياء، والمسجد الأقصى، ووصفت تلك المدينة بالقدسية المباركة، فورد من بين أسماء القدس اسم الأرض المباركة، والأرض المقدسة، والقدس الشريف وغير ذلك من الأسماء ذات الطابع الديني المقدس.

والرواية الثالثة حول بناء المسجد الأقصى ملخصها أن ملكي صادق اليبوسي الكنعاني كان يعتقد بشكل جازم في عبادة التوحيد، وكان هو وجماعته من المعتقدين بأن الله واحد لا شريك له وهو يشمل برعايته كل الخلق، وعليه فإن لملكي صادق وجماعته التوحيدية آمنت بدين التوحيد منذ نحو ٤٠٠٠ سنة، وقد وضعوا أسس تلك العبادة في مدينتهم مدينة السلام أو القدس فيما بعد.

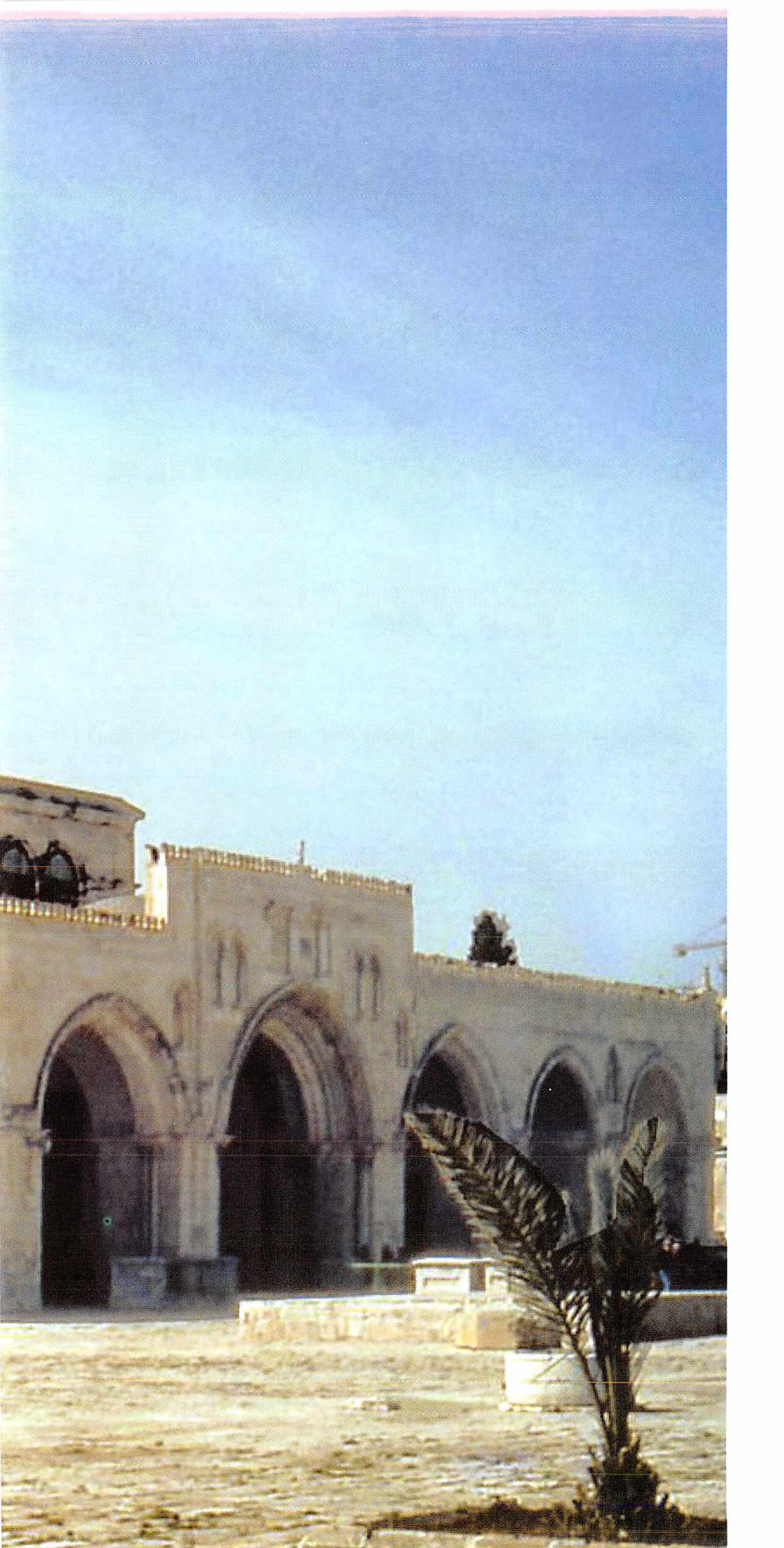
ويذكر لنا صاحب الأنس الجليل أن «ملكي صادق نزل بأرض بيت المقدس وقطن بكهف من جبالها يتعبد فيه واشتهر أمره حتى بلغ ملوك الأرض الذين هم بالقرب من أرض بيت المقدس بالشام وسدوم وغيرهما...».

وجاء في قاموس الكتاب المقدس أن «ملكي صادق كان محافظًا على سنة الله بين شعب وثني، ولذلك كان له الأسبقية على إبراهيم عليه السلام وعلى الكهنة الذين تسلسلوا منه»، ويعني القاموس بالكهنة أي الأنبياء الذين هم من نسل إبراهيم عليه السلام.

وهنا نلمس الصلة والعلاقة بين إبراهيم عليه السلام وملكي صادق الذي كان صديقًا حميمًا لإبراهيم عليه السلام، وكان كاهنًا لله العلي حسب ما ذكرته لنا التوراة، ومن الثابت في الروايات التاريخية أن إبراهيم عليه السلام كان معاصرًا لملكي صادق، وكان إبراهيم عليه السلام قد زار ملكي صادق في مدينة السلام التي بناها اليبوسيون بزعامة ملكي صادق.

وقد اتخذ ملكي صادق أرض المسجد الأقصى أو ما يعرف بأرض مسجد القدس الشريف مكانًا للعبادة والتعبد، وبنى في هذا المكان معبدًا كنعانيًا يبوسيًا يمارس فيه العبادة لله العلي هو وجماعته الذين اعتقدوا بما كان يعتقد، ويقول صاحب الأنس الجليل في هذا الصدد: «وهذه الأقوال أي الأقوال التي تقول إن المسجد الذي بناه سليمان عليه السلام» تدل على أن بناء داود وسليمان عليهما السلام له إنما كان على أساس قديم لا أنهما المؤسسان له بل هما مجددان، وهنا فإن صاحب الأنس لا يجزم بأن البناء القديم الذي بنى عليه سليمان عليه السلام مسجده كان معبد ملكي صادق، وإنما يؤكد ما رواه القرطبي بأن سليمان عليه السلام ليس أول من بنى المسجد الأقصى، كما أن إبراهيم عليه السلام ليس هو أول من بنى المسجد الحرام بمكة المكرمة.

وتأسيسًا على ما ورد ذكره فإن بناء بيت للعبادة في بقعة المسجد الأقصى المبارك كان على يد ملكي صادق الملك اليبوسي الكنعاني العربي وهذا يوضح لنا أن مبدأ التوحيد الصادق والعبادة الصادقة



لله تعالى كان منبعها وأصلها عند العرب وهم الذين انطلقوا بهذا التوحيد لينشروه بين الأقوام والشعوب الأخرى غير العرب، وبهذا الأسلوب الديني العملي لدى العرب، يكون اليبوسيون العرب هم الذين بنوا مكانًا لعبادة التوحيد في بقعة المسجد القدسي الشريف قبل أن يبني سليمان عليه السلام مسجده في تلك البقعة بما يقرب من ألف سنة، وهو أمر يثير الإعجاب في عقلية العرب الدينية وصفائها الروحي والوجداني.

وهكذا كان في القدس قديمًا بقعة مطهرة ومقدسة رُويت عنها الروايات التاريخية القديمة والكتب السماوية تمجيدًا لها واعترافًا بطهرها وقداستها، وكانت تمارس في هذه البقعة المطهرة الشعائر الدينية الخالصة لوجه الإله الواحد العلي، وهذه البقعة المطهرة هي المسجد الأقصى القديم، وربما هو المسجد الأقصى الأول بدون أن نجزم إذا أخذنا بعين الاعتبار ما روته لنا الروايتان السابقتان، وفي هذه البقعة المشرفة كان يصلي إبراهيم عليه السلام عندما زار القدس في عهد ملكها ملكي صادق المؤمن بالتوحيد، ومن هنا فإن المسجد الأقصى تنسبه بعض الروايات التاريخية والدينية إلى إبراهيم عليه السلام، وهذا الأمر يسبق في وجوده وجود اليهود في القدس بمدة قد تقل عن ألف سنة، فالقدس إسلامية وتنتمي إلى الإسلام منذ قديم الزمان، ولا يستبعد أن يكون ملكي صادق قد أفاد من إسلام إبراهيم عليه السلام وممارسته شعائر الإسلام في بقعة المسجد الأقصى، ولا يستبعد أيضًا أن ملكي صادق كان قد أفاد من نمط عمران البيت العتيق الذي بناه إبراهيم أو أضاف إليه أو جدده، وفي هذه الحال يمكن أن يكون البيت الذي بناه ملكي صادق للعبادة التوحيدية هو المسجد الأقصى الذي ورد ذكره في القرآن الكريم في سورة الإسراء.



وأخيرًا فالرواية الأخيرة حول بناء المسجد الأقصى تقول بأن سليمان عليه السلام هو الذي بنى المسجد الأقصى وهي رواية صحيحة لأنها تستند إلى حديث نبوي شريف، فقد روى النسائي عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن سليمان عليه السلام لما بنى بيت المقدس سأل الله خلالاً ثلاثًا فأعطاه اثنين وأرجو أن يكون أعطاه الثالثة، سأله مُلكًا لا ينبغي لأحد بعده، فأعطاه إياه، وسأله حكمًا يواطئ حكمه، فأعطاه إياه، وسأله من أتى هذا البيت لا يريد إلا الصلاة فيه أن يخرج من الذنوب كيوم ولدته أمه. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأنا أرجو أن يكون قد أعطاه الثالثة».

وورد هذا الحديث بنص آخر مشابه في معناه للنص السابق وهو: «أن سليمان بن داود عليه السلام لما بنى بيت المقدس سأل الله خلالاً ثلاثًا، حكمًا يصادف حكمه فأوتيه، وسأل الله عز وجل ملكًا لا ينبغي لأحد من بعده فأوتيه، وسأل الله عز وجل حين فرغ من بناء المسجد ألا يأتيه أحد لا ينهزه إلا الصلاة فيه أن يخرجه من خطيئته كيوم ولدته أمه فأوتيه».

ومن الواضح في حديث الرسول الكريم الذي رواه أبو ذر قال: سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أول مسجد وضع على الأرض قال: «المسجد الحرام»، قلت ثم أي؟ قال: «المسجد الأقصى» قلت: كم بينهما؟...... » فمن الواضح أن هناك فرقًا زمنيًا كبيرًا بين المسجد الحرام وبين المسجد الأقصى، وقد يصل هذا الزمن ليس إلى مدة أربعين سنة، وإنما إلى حوالي ألف سنة، فعليه قال القرطبي إن إبراهيم عليه السلام وسليمان عليه السلام جددا المسجد الحرام والمسجد الأقصى وهما ليسا أول من بناه.

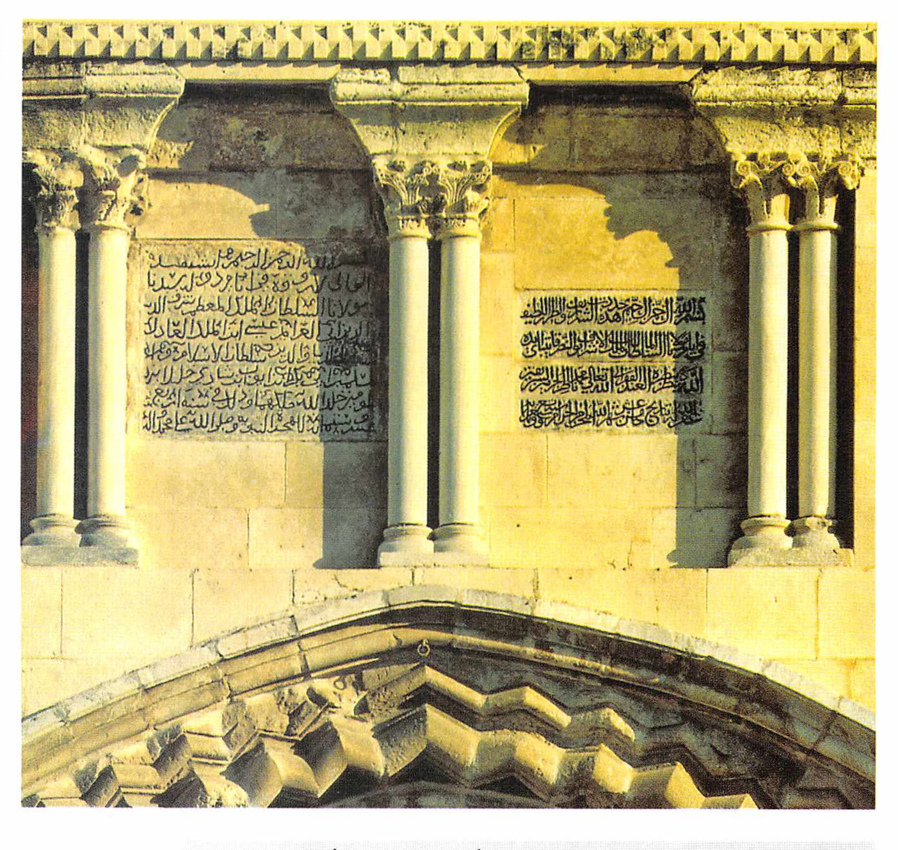
يذكر أن أهم عمل بنائي أقامه سليمان عليه السلام كان مسجده أو المسجد الأقصى في حدوده المقامة وقتذاك، وقد أقام سليمان عليه السلام مسجده هذا على المكان نفسه الذي كان يتعبد فيه ملكي صادق اليبوسي، وقد صمم ليكون مسجدًا تابعًا للقصر، ولكنه أصبح فيما بعد مكانًا للعبادة اليهودية، ولم يكن مسجد سليمان عليه السلام مكانًا للعبادة لجميع اليهود إلا في عهده فقط، وأصبح هذا المكان يتعبد فيه أقلية من اليهود في عهد خليفته وولده رحبعام حيث توجه معظم اليهود في عبادتهم وصلاتهم بعد عهد رحبعام إلى معبدين الأول في بتين وهي غير بعيدة عن القدس، والثاني في دان في شمال فلسطين، وكان سليمان قد بدأ ببناء السور أولاً، ثم بعد ذلك أخذ يبني مسجده الذي صممه المهندسون المعماريون الفينيقيون، فهو مستوحى من الفن المعماري السامي، ويقول اليعقوبي «ابتدأ سليمان في بناء بيت المقدس، وقال إن الله أمر أبي داود أن يبني بيتًا، وأن داود عليه السلام شغل بالحروب، فأوحى الله إليه أن ابنك سليمان يبني البيت باسمي، فأرسل سليمان في عمل خشب الصنوبر وخشب السرو، ثم بنى بيت المقدس بالحجارة، وجعل له هيكلاً مذهبًا، ولما فرغ سليمان من بناء بيت المقدس عمل عيدًا وقرب فيه الذبائح، فأقام أربعة عشر يومًا يفعل ذلك، وقد جمع إليه بني إسرائيل، فإذا فرغ من إطعامهم، قام فقدس الله وسبحه. ويذكر صاحب مقال «هذا بلاغ للناس» لإنقاذ المسجد الأقصى: «المراد بالمسجد الأقصى في سورة الإسراء والمعراج هو المسجد الأقصى الذي يسميه اليهود بالهيكل...» وهذا يُعد دلالة واضحة على أن بناء المسجد الأقصى كان على يد سليمان عليه السلام بعد أن كان أبوه داود عليه السلام قد حضر له المواد اللازمة للبناء باستثناء مواد أخرى كان سليمان عليه السلام قد جمعها لإتمام هذا البناء.

أعاد بناء المسجد الأقصى الخليفة عبد الملك بن مروان عام ٧٢هـ/ ٦٩٢م، وأتمه من بعده ابنه الوليد بن عبد الملك عام ٨٦هـ/ ٧٠٥م.

اجتهد عبد الملك بن مروان وولده في أن يكون المسجد الأقصى أفخم من مسجد دمشق، لأنه يجاور كنيسة القيامة، حتى إنه يذكر أن أبوابه كانت مصفحة بالذهب والفضة، ولكن أبا جعفر المنصور أمر بخلعها وسكها دنانير ودراهم للإنفاق منها على تعمير المسجد وإصلاحه.

بعد استيلاء الصليبيين على القدس عام ٤٩٢هـ/ ١٠٩٩م، جعلوا قسمًا من المسجد الأقصى كنيسة وحولوا القسم الآخر إلى مسكن لفرسان الهيكل ومستودع لذخائرهم.

ومع استرداد صلاح الدين لبيت المقدس أعاد إصلاح المسجد الأقصى وكسا قبته بالفسيفساء وهي مصفحة من الخارج بالرصاص، كما زوَّد المسجد بمنبر من الخشب مُطعَّم بالعاج واللؤلؤ أتى به من مدينة الشهباء، وقد وضع على يمين المحراب وهو المنبر الذي احترق خلال الحريق المدبَّر الذي نفذه يهودي موتور في عام ١٩٦٨م، ووراء المنبر أثر قدم السيد المسيح، وفي جانبه الجنوبي محراب باسم زكريا تذكارًا لاستشهاده بين الهيكل والمذبح، وقد أطلق على جزء من تلك الجهة من الجامع الأقصى «جامع الأربعين شاهدًا»، ثم توالت أعمال التجديد والإضافات على المسجد الأقصى خلال عصور ملوك بني أيوب والمماليك وسلاطين بني عثمان، وأنشئت فيه أروقة، وعُمِّر سقفه وصُفِّح بالفسيفساء والرخام وفرشت أرضه بالسجاد العجمي، ووصلت مساحته إلى ٤٤٠٠ متر مربع، وتحمل عقود أروقته ٥٣ عمودًا من الرخام و٤٩ دعامة مربعة الشكل، وترتكز قبته الشهيرة على ثمانية أعمدة، كذلك يوجد تحت المسجد



نقوش كتابية تعلو واجهة الرواق الأوسط بالمسجد الأقصى

الأقصى دهليز واسع يسمى الأقصى القديم يتألف من سلسلة من عقود تقوم على أعمدة ضخمة.

ولأروقة مسجد الأقصى واجهة تتكون من ستة عقود مدببة يتوسط تلك الأروقة والمغطاة بقبوات متقاطعة رواق أوسط أكثر اتساعًا يتقدمه أيضًا عقد مدبب، وقد وجد نقش أعلى واجهة الرواق الأوسط بالجامع الأقصى، مؤرخ بعام ٦١٤هـ/ ١٢١٧-١٢١٨م، ونصه كالتالي:

١- بسم الله الرحمن الرحيم أنشئت هذه

٢- الواجهة للاروقة في أيام دولة سيدنا

٣– ومولانا السلطان الملك المعظم شرف الدنيا

٤– والدين أبي العزائم عيسى ابن الملك العادل

٥– سيف الدنيا والدين سلطان الاسلام وا

٦– لمسلمين أبي بكر ابن أيوب ابن شادي خليل أمير ا

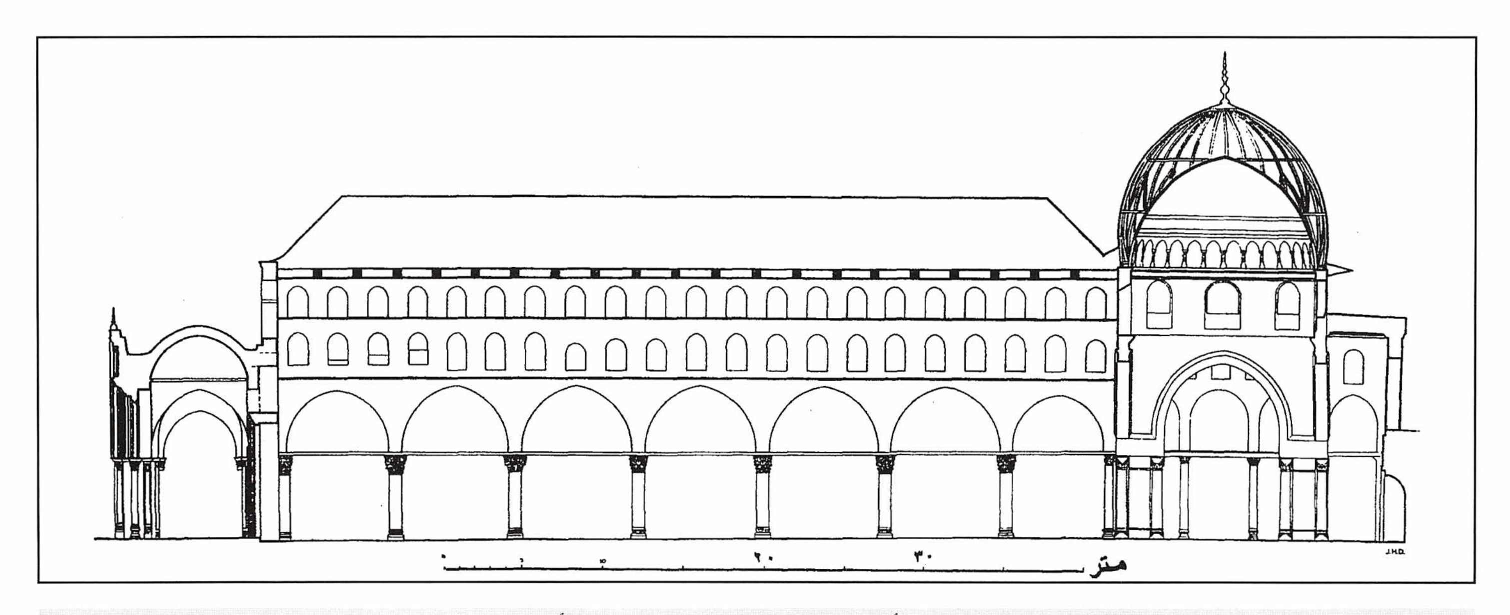
٧– لمؤمنين خلد الله ملكهما وذلك في سنة أربع

٨– عشرة وستمائة للهجرة النبوية وصلى الله على محمد وآله.

مسقط أفقي للمسجد

قطاع طولي رأسي للمدخل المسقوف الجنوبي للمسجد الأقصى

قطاع طولي رأسي لواجهة المدخل الشمالي للمسجد الأقصى



قطاع طولي رأسي لواجهة المدخل الشمالي للمسجد الأقصى



القبة من الداخل

وصف المسجد

يقع المسجد الأقصى في الطرف الجنوبي من فناء الحرم الشريف ويشغل بوضعه الحالي حيزًا مستطيل الشكل طوله ٦٩ مترًا وعرضه ٥١ مترًا تقريبًا وهو يتكون من رواق أوسط كبير يؤدي إلى المحراب تكتفه من كل من الجانبين ثلاثة أروقة أقل منه ارتفاعًا ويغطيه «جمالون» ضخم من الخشب المصفح بألواح من الرصاص وينتهي من الجهة القبلية بقبة مرتفعة أمام المحراب، أما الأروقة الجانبية فممتدة من الشمال إلى الجنوب موازية في ذلك للرواق الأوسط ويغطي الرواقين المجاورين مباشرة للرواق الأوسط سقفان من الخشب أما بقية الأروقة الجانبية فمغطاة بقبوات مصلبة ومحمولة على عقود ترتكز بأطرافها على أكتاف من الحجر بخلاف الأروقة الأخرى فإنها محمولة على صفوف من الأعمدة.



زخرفة الفسيفساء

وأمام الواجهة الشمالية للمسجد رواق ذو سبع فتحات معقودة يقابلها سبعة أبواب تؤدي إلى داخل المسجد ويوجد في الجانب الشرقي بابان يؤدي أحدهما إلى مسجد سيدنا عمر والآخر إلى فناء الحرم كما يوجد في الجانب الغربي بابان أيضًا أحدهما يؤدي إلى مسجد النساء والآخر إلى ساحة الحرم وبجوار المحراب باب يؤدي إلى بناء قديم.

من الصعب معرفة ماهية الزينة التي جعلت البناء فخمًا ومميزًا في فترته الأولى، ومن أقدم المكتشفات التي وصلت إلينا من القرن الثامن، مجموعة من الألواح الخشبية المصنوعة من خشب السرو كانت تزين الجدران، وكانت مرتبة بشكل عمودي على الجدران الداخلية للمسجد فوق مساند، وهذه الحشوات محفوظة الآن في متحف الآثار الفلسطيني ومتحف الآثار الإسلامية بالحرم، وقوام زخارف هذه الحشوات عناصر نباتية من زهور وفواكه وأوراق الأكانتس والعنب والرومان، بالإضافة إلى ساق تنتهي بباقة من الزهور، بالإضافة إلى عناصر هندسية على شكل معينات.

في الجزء المحاذي للحائط القبلي بالمسجد الذي تنتصب فوقه القبة مجموعة من الفسيفساء قام بترميمها الخليفة الفاطمي الملك الظاهر ٤١٨هـ/ ١٢٠٧م، ويلاحظ الاختلاف الجذري في الأسلوب بينها وبين تلك الموجودة على طبلة قبة الصخرة والتي نسبت خطأ إلى عهد الظاهر.

محراب المسجد الأقصى

يحف بحنية المحراب عمودان من الرخام ذوا تاجين حفر عليهما رسوم لأوراق الأكانتس، يشغل بدن كل منهما الرخاميين تجزيعات، أما محارة المحراب فهي مغطاة بقطع من الفسيفساء قوام زخرفتها أشكال دوائر متداخلة تشغلها مراوح نخيلية ووريدات.

يعلو حنية المحراب نقش نفذ بخط النسخ يشير إلى تجديده على يد صلاح الدين الأيوبي عام ٥٨٣هـ/ ١١٨٧م، نفذ هذا النقش بالخط النسخ، ويقرأ كالتالي:

١- بسم الله الرحمن الرحيم أمر بتجديد هذا المحراب المقدس وعمارة المسجد الأقصى الذي هو

٢- على التقوى مؤسس عبد الله ووليه يوسف ابن أيوب أبو المظفر الملك الناصر صلاح الدنيا والدين

٣- عندما فتحه الله على يديه في شهور سنة ثلاث وثمانين وخمس مائة

٤- وهو يسأل الله إيزاعه شكر هذه النعمة وإجزال حظه من المغفرة والرحمة

كما يشغل نقش آخر إطار حنية المحراب قوامه كتابة كوفية في ثلاثة أسطر نصها كالتالي:

١- بسم الله الرحمن الرحيم سبحان

٢- الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد

٣- الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله

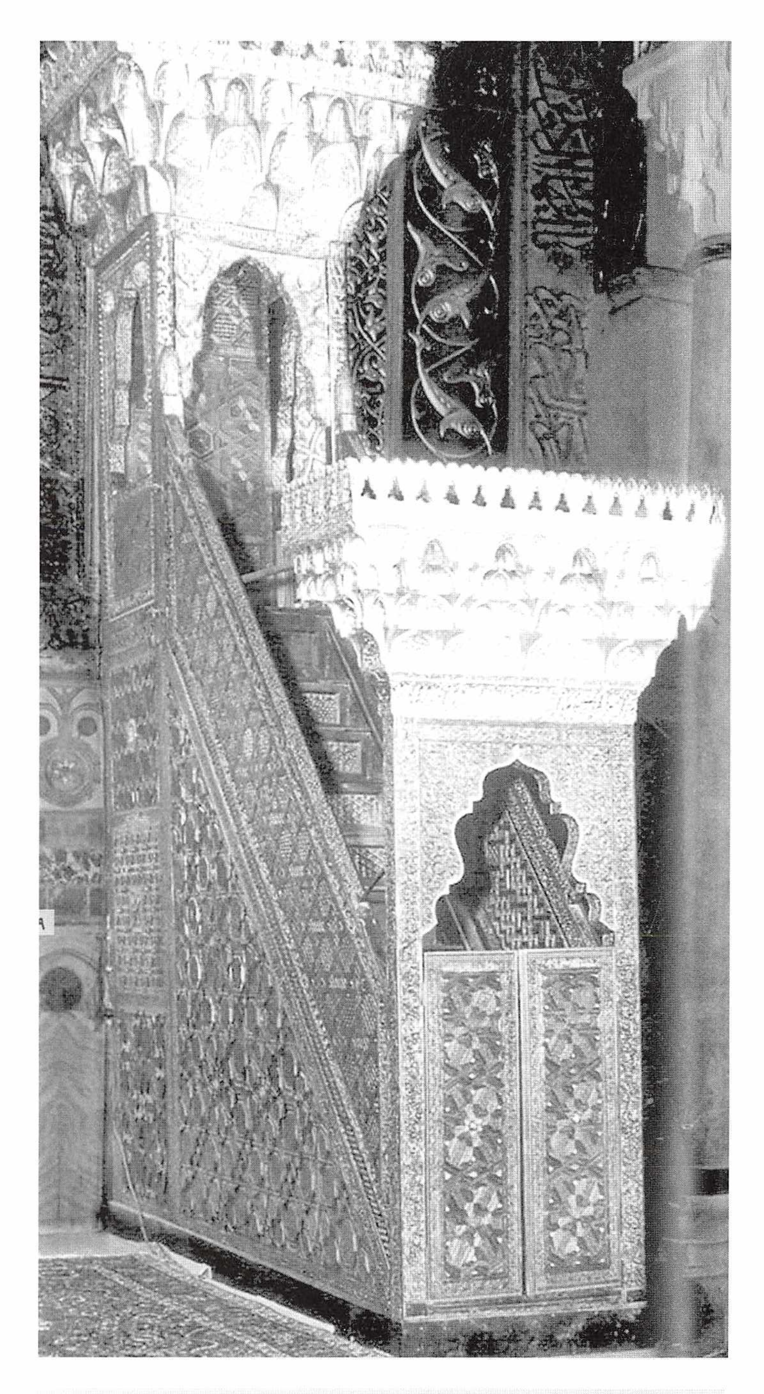
وحسب ما ورد بالنص التجديدي فإنه يمكن القول بأن المحراب كان موجودًا قبيل الوجود الأيوبي بالقدس، ويذكر الهواري الذي زار القدس في عام ٥٦٩هـ/ ١١٧٣م، أنه لاحظ عدم مساس الإفرنج بمحراب المسجد، إلا أن عماد الدين يذكر أن هناك جدارًا قد بني على يد الإفرنج من أجل إخفاء معالم محراب المسجد، إلا أن هذا الجدار أزيل عند مجيء صلاح الدين الأيوبي للقدس عام ٥٨٣هـ/ ١١٨٧م.

منبر المسجد الأقصى

تعود قصة بناء منبر المسجد الأقصى المبارك إلى الملك العادل نور الدين محمود بن زنكي الذي كان قد عزم على تحرير بيت المقدس، وأن يصنع «لأجل القدس» منبرًا فريدًا في صنعته وفي هيبته يوضع في المسجد الأقصى المبارك، فأصدر أمره عام ٥٦٣هـ/ ١١٦٧م، بصنع مثل هذا المنبر الذي انتدب للعمل فيه أمهر الصناع الذين ربما اختاروا الخشب لصناعته في ما يقرب من ثماني سنوات.

كانت حلب في القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي مكان صناعة هذا المنبر، وتحديدًا منطقة «الحلوية» منها، فقد كانت حلب في تلك الفترة معروفةً برقي صناعتها الخشبية بالذات، وبراعة صناعها الذين اشتهرت منهم عوائل وأسر تميزت فنيًا وتاريخيًا، بالكثير من أعمالها الفنية الخشبية، ومنها بالذات: المحاريب والمنابر، المنتشرة في بعض مساجد سوريا وفلسطين ومصر.

وتذكر بعض المصادر التاريخية أسرة «معالي» على أنها واحدة من أشهر هذه العوائل والأسر الفنية التي تولت صناعة العديد من



"منبر نور الدين زنكي" الذي أمر بنقله صلاح الدين الأيوبي إلى المسجد الأقصى

هذه المحاريب والمنابر التي كانت وما تزال تحفًا فنيةً رائعةً يندر مثيلها في روعة الفن وإتقان الصنعة.

وعلى الرغم من أن هذه المصادر لا تذكر ذلك الفنان البارع في فنون النجارة والرقش والتطعيم والخط... صانع المنبر الذي كان نور الدين زنكي قد أمر به للمسجد الأقصى، سوى بلقبه «الأختريني» المنسوب إلى قرية في حلب، يبدو أنه كان يقيم فيها، يبرز التوقيع الفني لهذا النجار الحلبي محفورًا على الباب الأيمن من هذا المنبر: (صنعه سلمان بن معالي)، ومعه نخبة من أمهر النجارين والنقاشين منهم: حميد بن ظافر، وأبو الحسن بن يحيى، وفضائل ابن يحيى الحلبي.

لم يتسنَّ لنور الدين زنكي تحقيق أمنيته في نقل هذا المنبر إلى القدس، إذ توفي قبل أن يتم تحريرها عام (٥٨٣هـ/ ١١٨٧م)، من براثن الصليبيين، وتم نقله على يد القائد صلاح الدين الأيوبي الذي أمر بنقل هذا المنبر إلى بيت المقدس، ليأخذ مكانه المناسب في المسجد الأقصى المبارك، ومن هنا صار هذا الأثر الفني الإسلامي الفريد يعرف بالمنبر القدسي أو منبر المسجد الأقصى المبارك أو منبر صلاح الدين الأيوبي.

ظل هذا المنبر قائمًا على حاله في المسجد الأقصى حتى عام ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٩م حيث ارتكاب الجريمة الصهيونية البشعة التي تمثلت بقيام أحد اليهود المتطرفين بحرق المسجد الأقصى المبارك، فطال هذا الحريق هذا الأثر القدسي الفني الفريد والرمز الخالد، ليتحول المنبر إلى رماد تالف، لم يتبقَّ منه سوى بعض القطع الخشبية الصغيرة المتفحمة.

يذكر شهود العيان الرحالة والمؤرخون أن هذا المنبر القدسي كان نادرًا في شكله وغرابة صنعته اللذين صار بهما تحفةً فنيةً مميزة لا مثيل لها في العالم الإسلامي، كما كان عملاً فنيًا ضخمًا في حجمه الذي يبلغ خمسة أمتار وخمسة وثلاثين سنتيمترًا طولاً، وأربعة أمتار عرضًا.

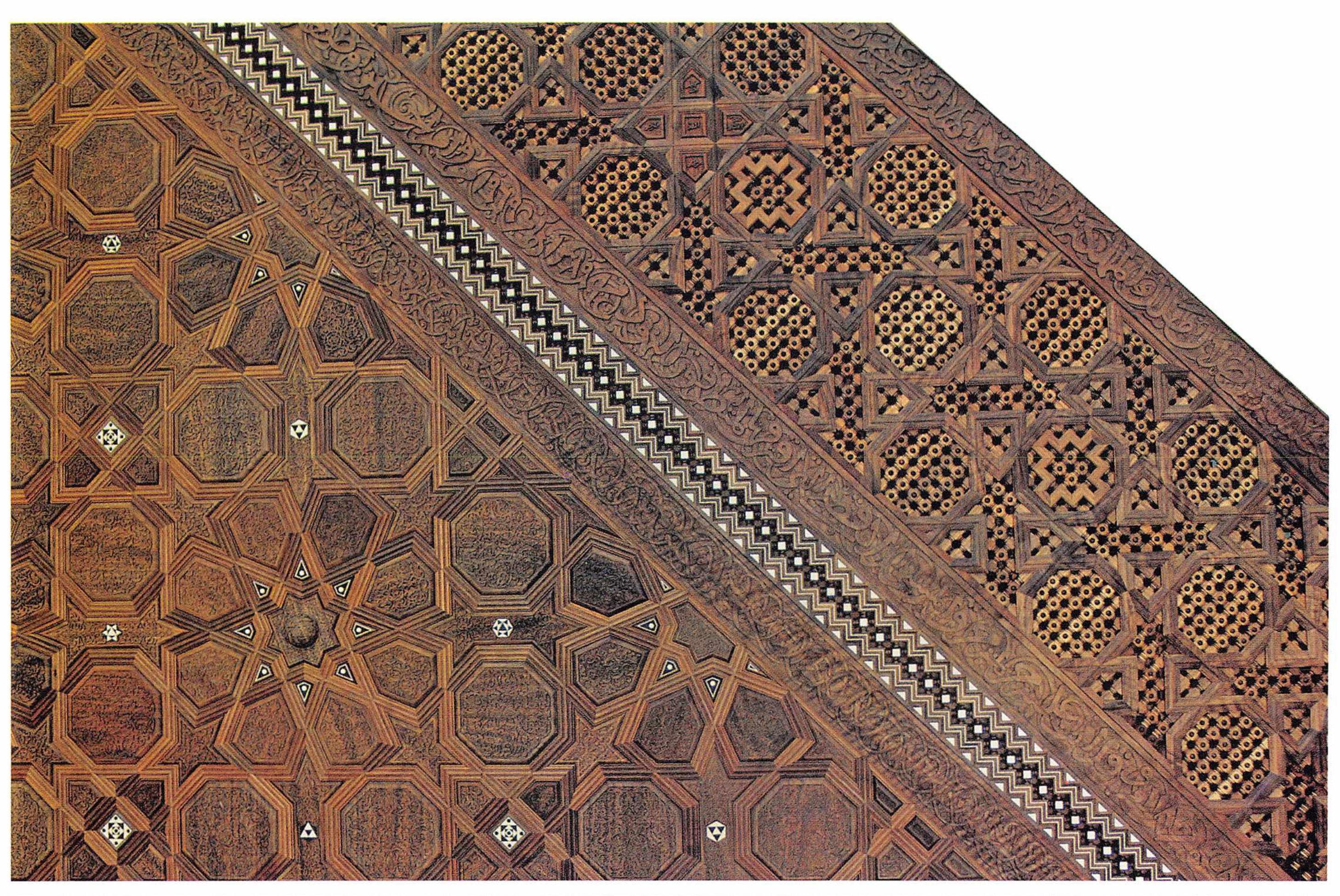
وكان المنبر القدسي مصنوعًا بشكل رئيس من الخشب المطعم بالعاج والمنقوش بالزخرفة والكتابة.. فقد استخدمت في صناعة هذا المنبر أنواع عدة من الخشب والعاج، وكانت المواد الخشبية الداخلة في بناء المنبر قد تحددت في أنواع معينة من أخشاب: الأرز والصنوبر والأثل التي شكلت هيكل المنبر الرئيس، ودخلت في تطعيمه أنواع أخرى من الخشب النادر والنفيس مثل: التك أو الساج الهندي الأصل، والأبنوس الذي مصدره السودان، وهي مواد تتصف بالمتانة والمقاومة، بقصد تحقيق البناء الصلب والمتماسك والمعمر لهيكل المنبر الذي ظل قائمًا على مدى أكثر من ثمانية قرون.

لم تحد الطبيعة القوية لهيكل المنبر الخشبي من الإمكانات الإبداعية لفنون وصنائع عدة استخدمت في هذه المواد الخشبية وظيفته الاستعمالية في أبهى مظهر جمالي يمكن أن يكون عليه المنبر، وقد كان هذا المنبر نتاج معرفة جمالية سامية، وأسلوب فني رفيع، وصناعة عملية متقدمة، تظافرت جميعها في إنتاج ما يمكن أن نسميه: فن المنبر.. الذي تمثل في الزخرفة الهندسية، والزخرفة النباتية، والخط العربي، والمقرنص، والخراطة، والتطعيم، والتعشيق..

يجمع هذا الفن الهندسة وما يمكن أن تنتجه من أشكال هندسية مجردة وقادرة على التعبير عن حقائق ومدلولات ثابتة وموضوعية في النظام الديني الإسلامي المقدس، من خلال علاقات هندسية ورياضية وموسيقية تجعلها متجاوبةً ومتناغمةً ومتواصلةً مع أشكال

نباتية حلزونية ملتفة حول نفسها، لإظهار الوحدة الزخرفية، بعنصريها: الهندسي والنباتي، في صيغة أو منظومة إيقاعية واحدة على سطح المنبر من جهاته المختلفة.

ويدخل الخط العربي في صلب هذا الفن، ليس من باب الكتابة التذكارية لتأريخ صناعة هذا المنبر وأعلامها المصممين والنجارين والمزخرفين والخطاطين المذكورين على باب المنبر وواجهاته المختلفة: سلمان بن معالي، وحميد بن ظافر الحلبي، وأبو الحسن بن يحيى ... فحسب، بل دخل أيضًا بوصفه البنية المعرفية والعرفانية الحاملة للنص القرآني المقدس وبركته في كيان المنبر وهويته الإسلامية الخالصة، فقد زينت جميع واجهات المنبر، الأمامية والخلفية... الشرقية والغربية، أشرطة كتابية بلفظ الجلالة بالخط الكوفي، وبآيات قرآنية عدة بخط الثلث، ويظهر المهاد الزخرفي المزدوج، هندسيًا ونباتيًا، لهذه الأشرطة الكتابية.. تقارب الأسلوب الخطي بين الاثنين: «الكوفي» و «الثلث»، من الناحية الوظيفية لاستخدام



تفاصيل من المنبر الجديد



مقرنصات تاج المنبر الجديد

الخط عنصرًا معماريًّا في الأبنية والمنشآت المختلفة، إذ كانت الغلبة في ذلك ما تزال للخط اليابس الشكل «الكوفي»، حتى القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي الذي بدأ يظهر فيه مثل هذا الاستخدام بخط «الثلث القديم» الذي ما تزال فيه بعض ملامح اليبوسة الكوفية كالثخن الواضح للقلم، والغلظة، وعدم تثبيت نقط الإعجام، والوضع المسطور على مهاد زخرفي..

ولكنه بدأت تظهر عليه ملامح التغير الفني في الأداء والشكل، نحو مزيد من الليونة التي بانت ملامحها المبكرة في الوصل الرشيق بين الحروف، وتركيبها، واستخدام النقاط الدائرية أحيانًا والمربعة أحيانًا أخرى، وإدخال الحركات الإعرابية والتزيينيَّة في المكتوب الخطي على هيكل المنبر.

وكان للمقرنصات القاعدية الداعمة لقبة الأشكال القوسية والكروية والمكعبة في المنبر حضورها الواضح في فنه من خلال الإيقاع التكراري المنتظم والمتتابع في ترتيب يشبه شكل خلايا النحل أو شكل التركيب الهندسي البلوري المنطلق من أو المتجه نحو مركز نظامي محدد.

ولم تكن جماليات هذه الفنون الزخرفية والخطية والقرنصية لتتجلى في فن المنبر الجامع لولا الصنائع الفنية الخشبية المتمثلة في الخراطة والتطعيم والتعشيق.

إذ قامت الخراطة بوصفها أسلوبًا من الأساليب المستخدمة بشكل عضوي في مشربيات العمارة الإسلامية بإنتاج الوحدات الخشبية الزخرفية المتشابهة في الشكل وفي الحجم المعروفة بـ «الشبكيات» أو «المصبعات».

وقد أدت أساليب الخرط المختلفة وتقنياته إلى إنتاج قطع خشبية جميلة: طولية وإسطوانية ومكعبة ومثمنة ومخروطية ومتقاطعة وغيرها ذات سماكات مختلفة، تتراكب مع بعضها البعض بأسلوب التعشيق الذي كان هو الأسلوب الأساس في ربط كل أجزاء المنبر وعناصره البنائية في هيكل واحد، دون استخدام لأي مادة لاصقة أو أداة مثبتة.

ولا بد من الإشارة أخيرًا إلى التطعيم أو الترصيع بالعاج والأبنوس الذي كان في حشوات المنبر المختلفة التي أعطت هيكله العام قيمةً جماليةً نفيسةً فوق قيمته الفنية والوظيفية.

إثر إحراق المنبر، قامت مباشرةً فكرة إعادة بنائه، وبُذلت جهود طيبة ومحاولات عديدة من قبل دول وحكومات ومؤسسات عربية وإسلامية لتحقيق فكرة إعادة بناء منبر جديد للمسجد الأقصى على غرار منبره الأصلي.

ولكن تنفيذ هذه الفكرة لم يكن سهلاً ولا ميسورًا، لخصوصية ما اشتمل عليه المنبر الأصلي من المواصفات التصميمية والمادية والتصنيعية الفريدة في تميزها وفي دقتها، فلم تثمر عديد من المحاولات العربية والإسلامية التي بذلت في هذا السبيل، ولم تستطع أن تقدم في هذا المجال سوى بعض المخططات الهندسية لأجزاء من المنبر، خالية من التفاصيل الفنية لتصميم شكل المنبر وطريقة صناعته.

ولعل ما زاد في صعوبة هذه المهمة هو عدم وجود نموذج متكامل للمنبر يمكن العمل على غراره، بالإضافة إلى أن الرسومات التي وضعت للمنبر لم تكن كافية، كما أن كثيرًا من الصور الفوتوغرافية التقطت للمنبر على فترات متفاوتة لا تعطي الوضوح الكافي الذي يساعد الباحثين في معرفة التفاصيل الدقيقة للعمل.

ولكن على الرغم من ذلك، وعلى الرغم من إدراك صعوبة المهمة، أقدمت المملكة الأردنية الهاشمية على وضع فكرة إعادة

بناء منبر صلاح الدين الأيوبي للمسجد الأقصى المبارك موضع الاهتمام والعمل على إنتاج منبر جديد يماثل تمامًا في شكله وفي صناعته المنبر القدسي الأصلي، ففي عام ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م أمر جلالة الملك الحسين بن طلال، رحمه الله، بإعادة بناء منبر المسجد الأقصى، ووجه باتخاذ جميع الإجراءات اللازمة من أجل أن يكون المنبر الجديد وفقًا للصورة الأصلية التي بني عليها المنبر القدسي قبل نحو ثمانمائة عام، فأنيطت مهمة إعادة بناء هذا المنبر بوزارة الأوقاف والشئون والمقدسات الإسلامية الأردنية، ولجنة إعمار المسجد الأقصى المبارك وقبة الصخرة المشرفة.

إن مثل هذا العمل الكبير لا يمكن تنفيذه دون إعداد دقيق لمخططات ورسومات هندسية تفصيلية لصورة المنبر الكلية، فقامت هذه الوزارة بطرح مسابقة لإعداد المخططات التنفيذية للمنبر، وقد اشتركت في هذه المسابقة مكاتب هندسية متخصصة عديدة من الأردن وخارجها، وقد فاز بهذه المسابقة مكتب المحراب للعمارة الإسلامية الذي اعتمد في إعداد المخططات على العديد من الوثائق الفنية والمعمارية المتعلقة بالمنبر، وقام بجمع معلوماتها من مكتبة الكونجرس في الولايات المتحدة الأمريكية، ومن وزارة الأوقاف والشئون والمقدسات الإسلامية، بالإضافة إلى الاستعانة ببقايا المنبر المحروق، وببعض المعنيين بالتراث الفني لبيت المقدس بعامة، والمسجد الأقصى المبارك بخاصة.

واستطاع فريق العمل أن يفيد من هذه المعلومات والصور والوثائق الأخرى في وضع ١٥٠ مخططًا لأجزاء المنبر وصورته الكلية، إذ تضمنت هذه المخططات تفاصيل الأشكال والأعمال الفنية لكل جزء من أجزاء المنبر، حتى أدق هذه الأجزاء التي تحتوي مثلاً على أشكال زخرفية بمساحة لا تتعدى بضع سنتيمترات مربعة، لتتكامل صورة جسم المنبر المؤلفة من قطع خشبية مختلفة الأحجام والمساحات، يقارب عددها الـ (١٦) ألف قطعة.

وقد تم ترميم كل القطع التي يتألف منها جسم المنبر، ليجري تركيب بعضها مع بعض، صغيرة وكبيرة حسب مكانها الملائم، وصولاً إلى تشكيل جسم المنبر كاملاً، وهنا لا بد من أن نؤكد على أن طريقة التركيب والبناء تجري بأسلوب «التعشيق» الذي كان متبعًا في الفن الإسلامي بعامة، وفي صناعة هذا المنبر بخاصة، وهو الأسلوب الرابط لعناصر الجسم الواحد دون استخدام أي مواد لاصقة أو مثبتة، ويعتمد في ذلك على متانة هذه العناصر وصلابتها، ووضعها في علاقات هندسية مدروسة من حيث التوزيع والنسب، وقد تم صناعة هذا المنبر على مدى ما يقرب من أربع سنوات، انتهت في منتصف عام ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٦م، وفي مطلع عام ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٧م تم نقل قطع المنبر جميعها في صناديق خاصة من عمان إلى القدس، وتم تركيب هذه القطع مع بعضها البعض حتى تم نصب المنبر نهائيًا في مكانه الأول من حرم المسجد الأقصى المبارك.

قبة الصخــرة

تقع قبة الصخرة في قلب الحرم القدسي الشريف، حيث يحدها الجدار الشرقي للحرم. ولقبة الصخرة أهمية كبيرة من الناحية الدينية فهي موقع معجزة الإسراء والمعراج، ومن ناحية فنية وزخرفية فهي معلم يؤرِّخ للفن الإسلامي في مراحل تكوينه وتشكيله المبكرة، ومن ناحية معمارية فهي تحفة رائعة فريدة لم يُبْنَ مثلها من حيث التصميم ولا من حيث الوظيفة في العمارة الإسلامية، فضلاً عن أنها تعد أقدم معلم من معالم الحضارة الإسلامية، وهي تشكل أعلى بقعة في الحرم الشريف.

أنشأها الخليفة عبد الملك بن مروان، وقد وكل على البناء «رجاء بن حيوة» الذي كان من أشهر رجال فلسطين في العصر الأموي، و«يزيد بن سلام» وكان من بيسان وذلك بأمر من الخليفة عبد الملك بن مروان.

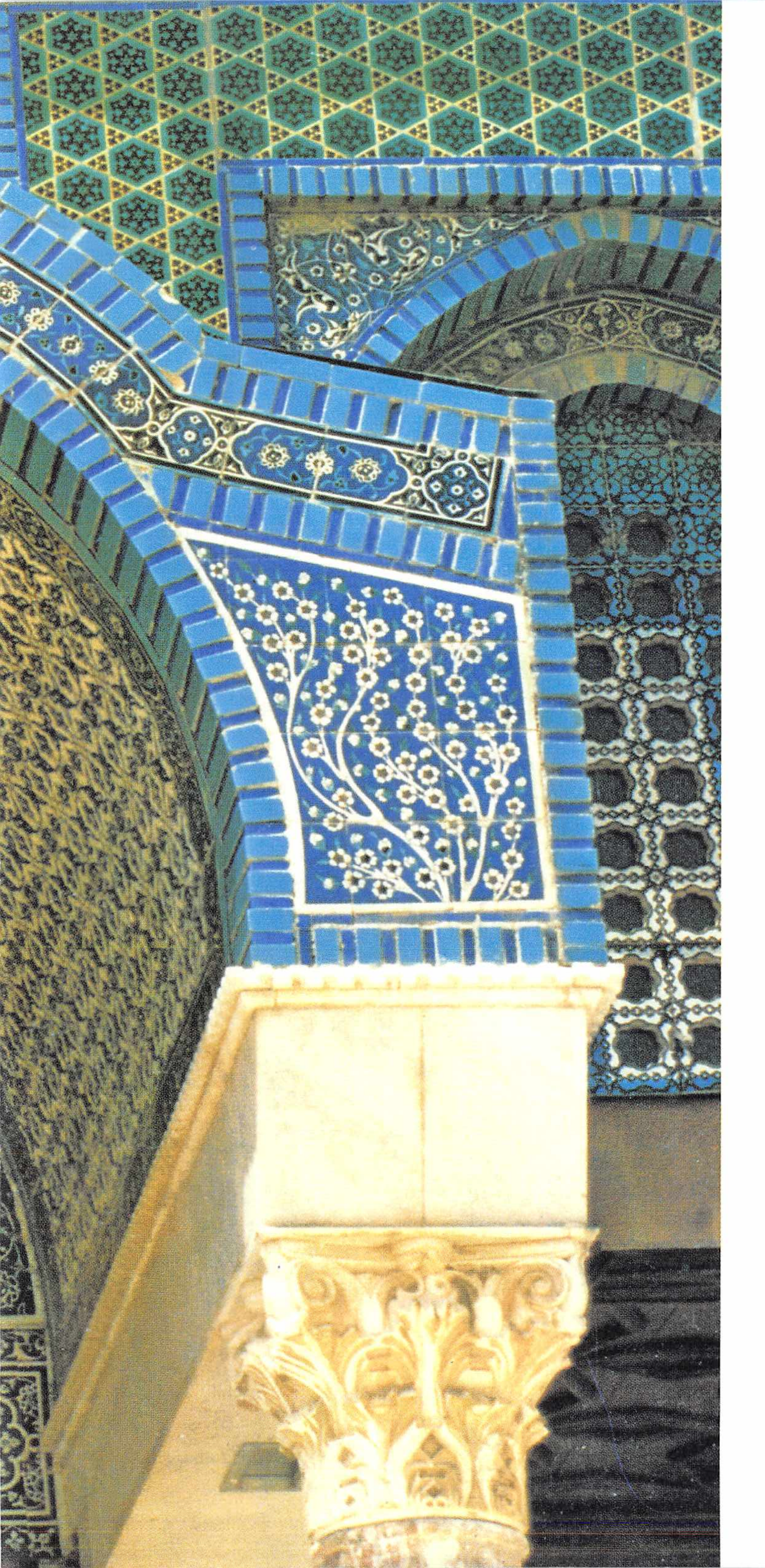


الوصف المعماري

تتخذ القبة مخططًا ثماني الأضلاع يحيط بالصخرة المشرفة غير المنتظمة الشكل، فتح في الأضلاع الأربعة التي تواجه الجهات الأربعة الأصلية باب يوصل لداخل القبة، وهي أبواب مزدوجة مصنوعة من الخشب المصفح بالحديد، ولهذه الأبواب أسماء عدا الغربي منها هي:

الجنوبي: باب الأقصى، ويعرف أيضًا باسم باب الصلاة وباب القبلة، ويعلوه نقش كتابي قوامه الآيات من(١٤٣ – ١٤٥)من سورة البقرة «وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ(١٤٣) قَدْ نَرَى





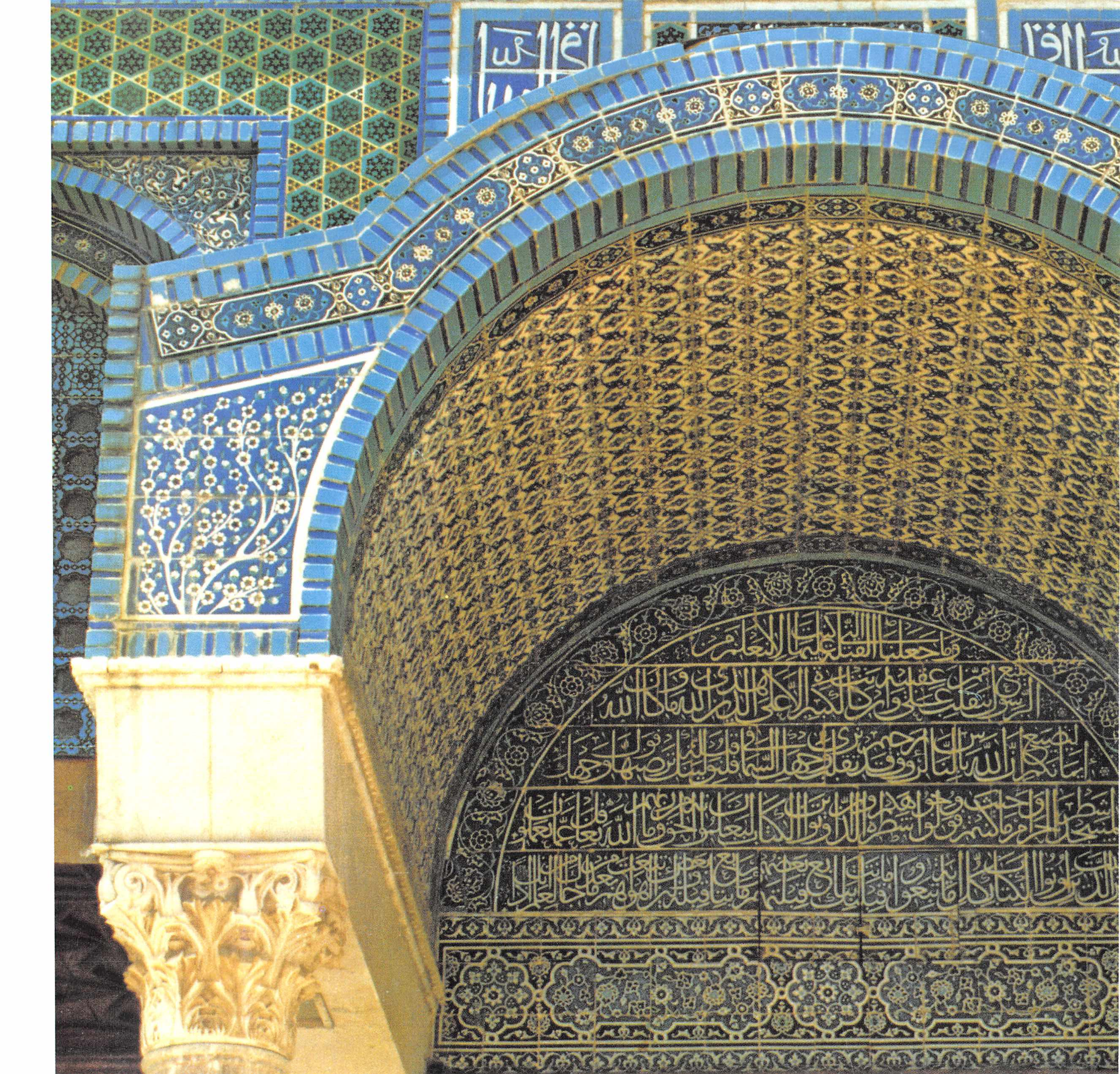
تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ (١٤٤) وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ وَمَا أَنْتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ وَمَا بَعْضُهُمْ بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذًا لَمِنَ الظَّالِمِينَ (١٤٥)».

الشمالي: ويعرف بباب الجنة، ويعلوه نص كتابي بخط الثلث بما أجراه السلطان سليمان القانوني عام ٩٥٩ هـ/ ١٥٢٢م، ونصه: «قد جدد بحمد الله من قبة الصخرة ببيته المقدس الفائقة بناءها وشيدها بما أجرى من مناهلها الريقة الرواة الأثر رونقًا وقصورًا ورواءها، وأجزل لها في خلال ظلال دولته السلطان الأعظم والخاقان الأكرم واسطة عقد الخلافة بالنص والبرهان أبي الفتوحات سليمان خان بن السلطان المعروف بالإحسان أبي النصر سليم خان المخصوص بالمآثر والتأييد صاحب المفاخر ابن السلطان بايزيد بن السلطان المجاهد الأمجد السلطان محمد بن عثمان، سحّت على ثراهم سحب الرضوان، فأعاد إليها ذلك البهاء القديم بفواقه حذاق المهندسين تاريخا في ذي (٩٥٩) فجعلوه أحسن، قد تشرف بكتابتها عبد الله التبريزي».

الشرقي: ويعرف بباب النبي داود، أو باب إسرافيل.

الغربي: ويواجه باب القطانين «أحد أبواب الحرم الشريف».

قسم كل جدار من الجدران الثمانية لقبة الصخرة إلى قسمين، كسي السفلي منهما بقطع من الرخام المعرق ويرجع تاريخ بنائه إلى عهد عبد الملك بن مروان، وتختلف زخرفة هذا الرخام من جدار لآخر، أما القسم العلوي فتزينه بلاطات خزفية متعددة الألوان تزينها وحدات زخرفية هندسية ونباتية، وقد فتح في كل ضلع من

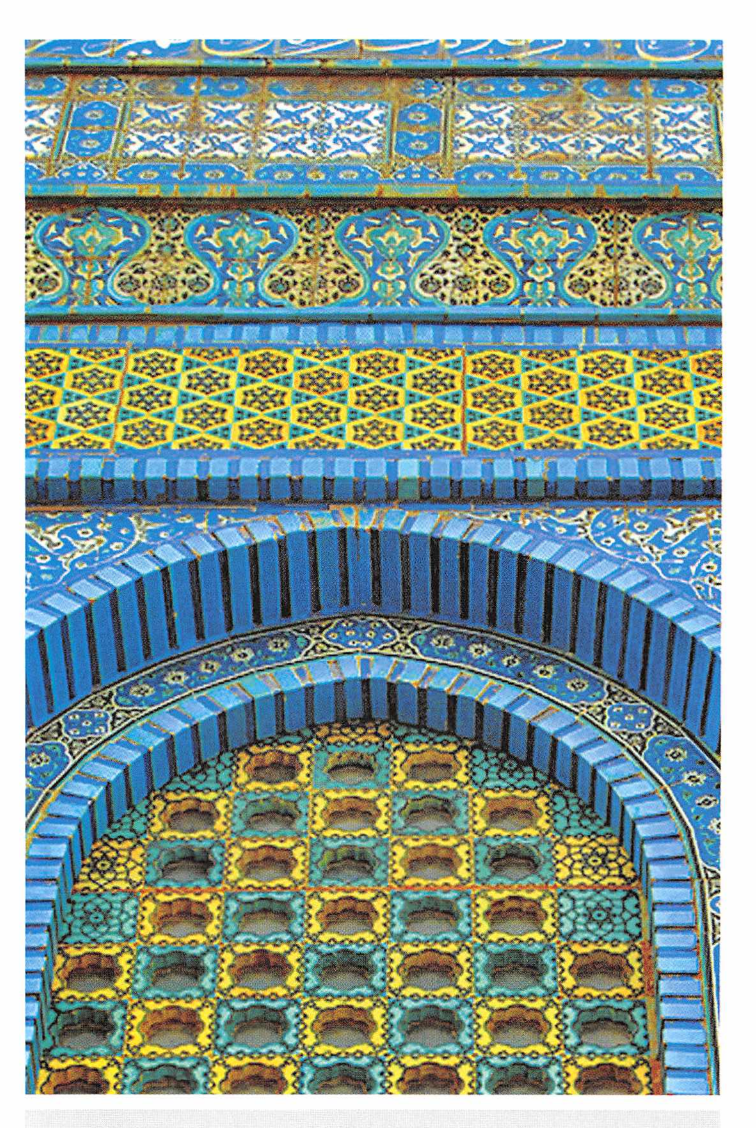


هذا القسم سبعة شبابيك منها خمس نوافذ تدخل الضوء والهواء للداخل، ونافذتان صماوان في كل طرف، ويدور حول الجدران الثمانية من الخارج نص قرآني لسورة «يس» كاملة وذلك بخط الثلث.

تقوم القبة من الخارج على رقبة دائرية فتح بها ست عشرة نافذة كسيت بالزخارف الجصية ذات تكوينات نباتية وكتابية وهندسية ملونة، أما القبة فهي نصف كروية المقطع، تغطيها صفائح النحاس المطلي بالذهب، يعلوها الهلال الذهبي، ويدور حول رقبة القبة نقش كتابي قوامه الآيات من (١: ٩ من سورة الإسراء):

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ (١) وَآتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِبَنِي إِسْرَائِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُوا مِنْ دُونِي وَكِيلًا (٢) ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا (٣) وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا (٤) فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَفْعُولًا (٥) ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا (٦) إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا (٧) عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يَرْحَمَكُمْ وَإِنْ عُدْتُمْ عُدْنَا وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا (٨) إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا (٩) وَأَنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا (١٠) وَيَدْعُ الْإِنْسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا (١١)



إحدى نوافذ القبة

وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِتَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلًا (١٢) وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنْشُورًا (١٣) اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ

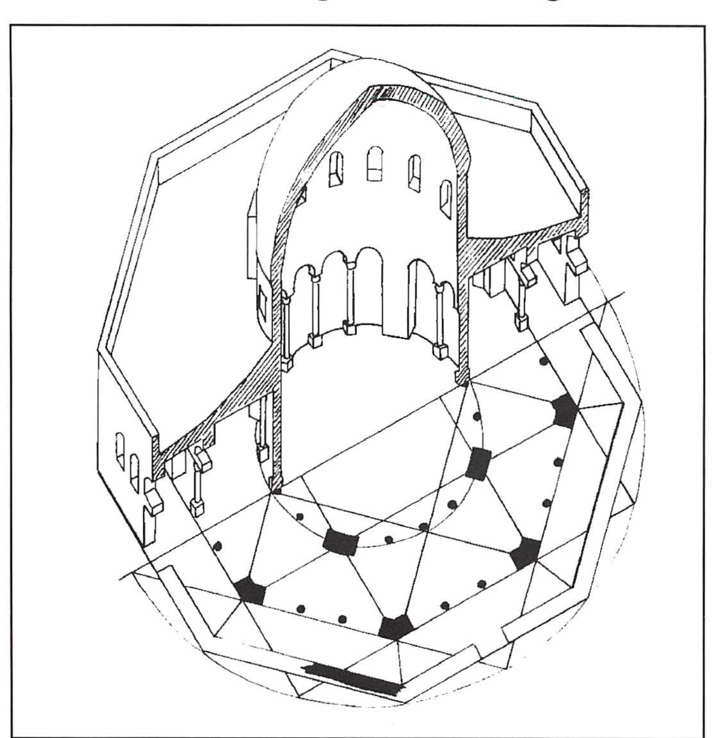
عَلَيْكَ حَسِيبًا (١٤) مَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا (١٥) وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا (١٦) وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ الْقُرُونِ مِنْ بَعْدِ نُوحٍ وَكَفَى بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا (١٧) مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا (١٨) وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا (١٩).

قبة الصخرة من الداخل

يشغل جدران البناء من الداخل ألواح من الرخام، وذلك حتى مستوى ارتفاع الأبواب، يعلو ألواح الرخام شريط حجري يدور



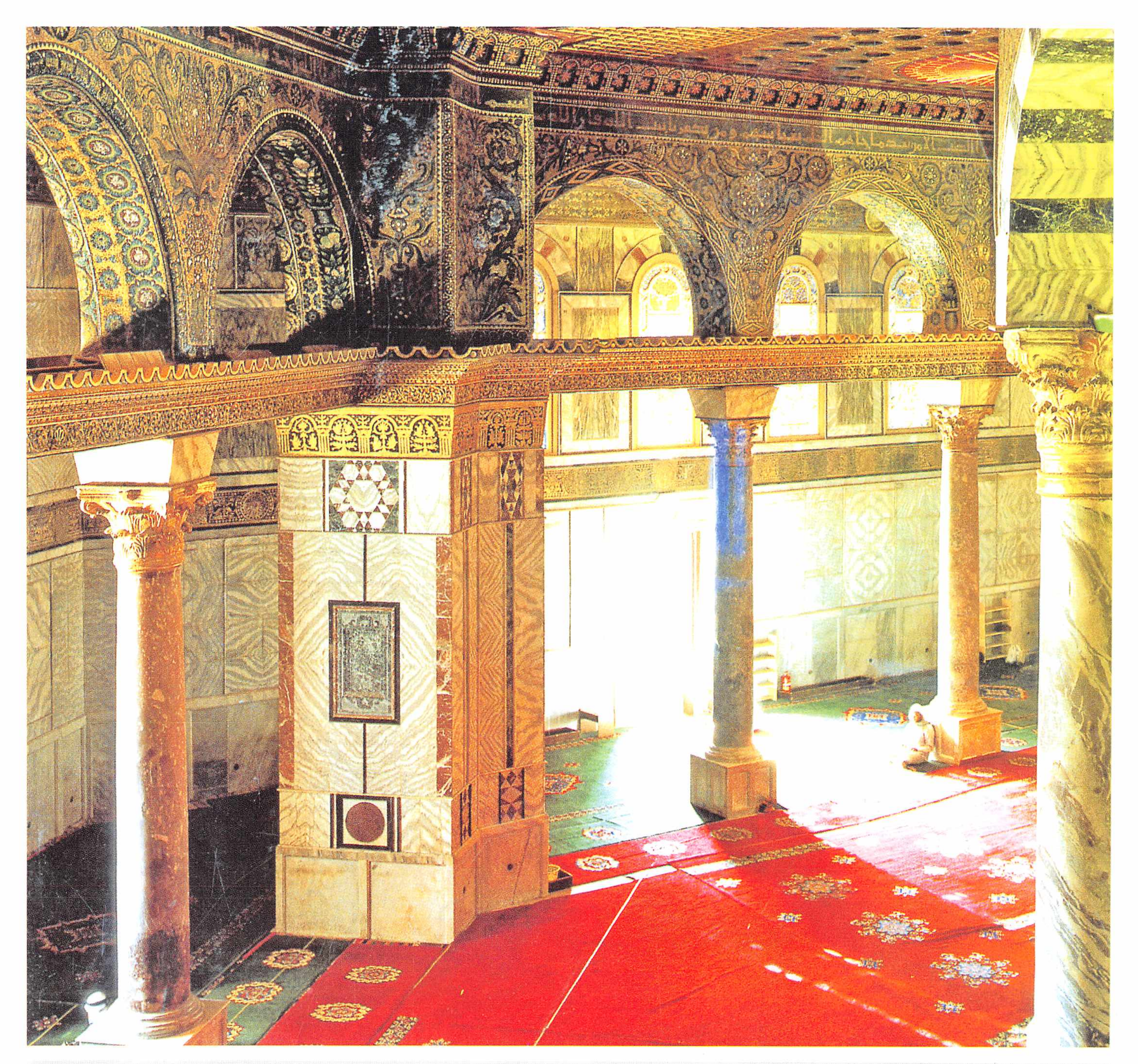
زخارف المثمن



قطاع لقبة الصخرة



زخارف رقبة القبة من الداخل



زخارف المثمن والسقف

حول الجدران تشغله تشكيلات من عناصر نباتية داخل أشكال على هيئة محاريب متتالية، طليت هذه الزخارف بماء الذهب.

تتخذ قبة الصخرة في تخطيطها من الداخل شكلاً مثمنًا يتكون من ثماني دعائم يفصل كل دعامتين عمودان من الرخام يكونان فيما بينهما عقدين نصف دائريين، وتزخرف واجهات العقود زخارف من الفسيفساء قوامها عناصر نباتية وكتابية ذات ألوان مختلفة، قوامها صور أشجار كاملة بأوراقها وثمارها، طبيعية كالنخيل والزيتون والخيزران، أو من ابتكار الخيال، ومن تشكيلات زخرفية نباتية متنوعة تمتزج بأواني الزهور والقواقع والورود والفواكه وخصوصًا العنب والرمان والبلح والتين والكمثرى والتفاح، بوحدات أوراق الأكانتس الكبيرة رشيقة التفريعات، وتميزت زخارف الفسيفساء أيضًا بانتشار تصوير الأهلة والنجوم والمجوهرات المقتبسة عن

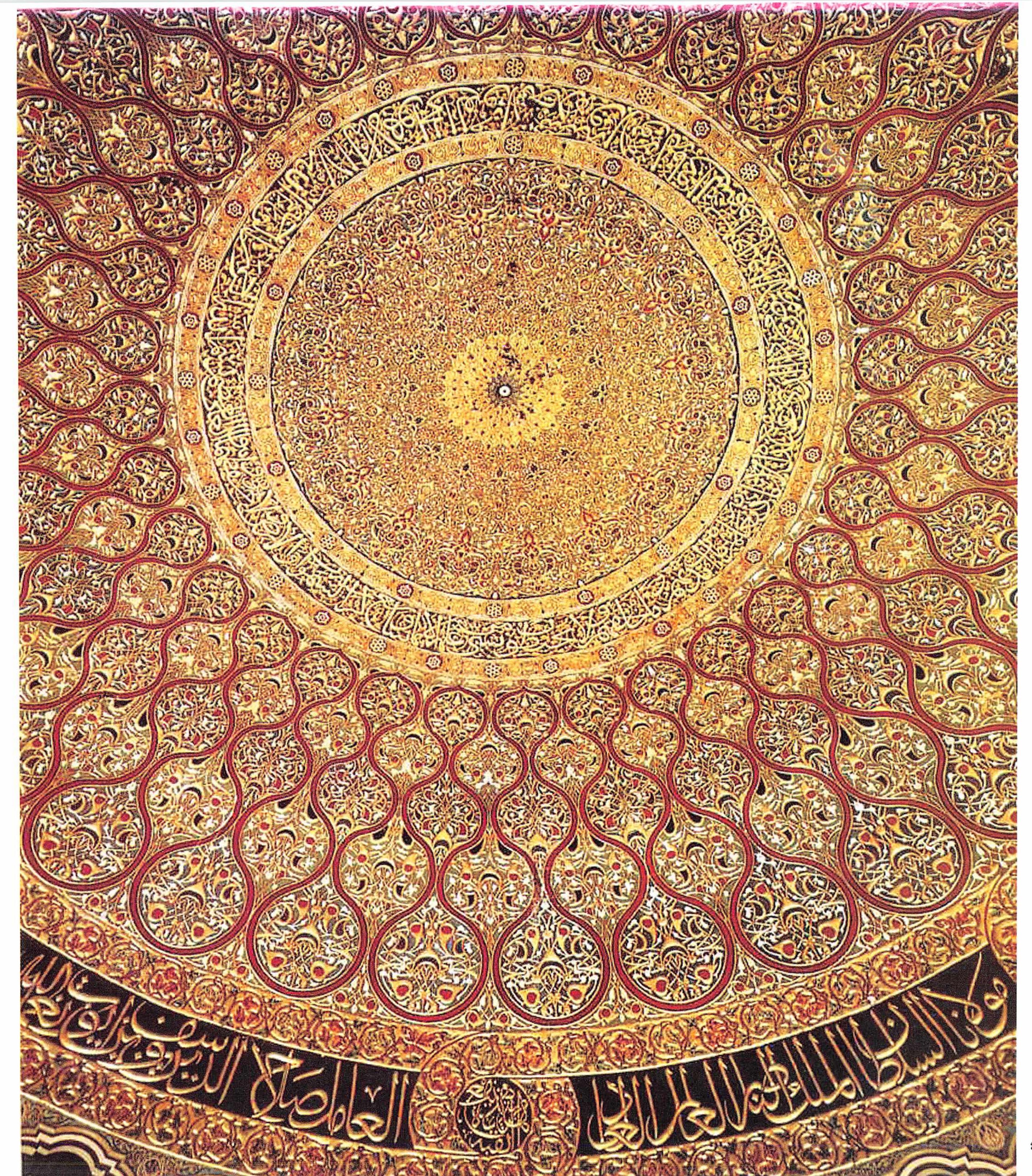


زخارف السقف

الأصداف أو الأحجار شبه الكريمة وتنوعها الرائع الدقيق خلال التشكيلات النباتية، ومع غلبة الفسيفساء الزجاجية فثمة أحجار كريمة كالزمرد والفيروز ويغلب عليها اللون الأخضر بدرجاته والأزرق والذهبي، ثم تأتي بعدها درجات اللون الأبيض والأسود والبنفسجي والأحمر والفضي والرمادي الداكن، وجاءت أحجام فصوص الفسيفساء مختلفة، وقد ألصقت الفصوص الذهبية والفضية مائلة في بعض الأحيان لتعكس الضوء للمشاهد، كما يزين سقف هذا المثمن ألواح خشبية مربعة ذات أشكال هندسية منوعة.

يلي المثمن الخارجي منطقة دائرية تتكون من أربع دعائم، بين كل دعامتين ثلاثة أعمدة، تحمل هذه الدعائم ستة عشر عقدًا، تحمل العقود بدورها رقبة القبة التي تحمل خوذة القبة، زخرفت واجهات العقود وبطونها بزخارف من الفسيفساء لعناصر نباتية قوامها مزهريات، وتيجان وأوراق نخيلية وكيزان صنوبر وعناقيد وأوراق عنب وغيرها من العناصر الزخرفية النباتية، بالإضافة إلى الزخارف الكتابية الذهبية المنفذة على أرضية خضراء اللون منفذة بخط النسخ، وأغلب هذه الزخارف تعود إلى العصر الأموي، وهي تشبه ما يوجد من زخارف في المسجد الأموي بدمشق.

والقبة التي نراها من الداخل هي ليست القبة التي تشاهد من الخارج، ذلك أن قبة الصخرة في الواقع قبتان، خارجية وداخلية، يفصل بينهما فراغ تقرب مساحته من المتر ونصف المتر، وذلك لحماية القبة الداخلية وزخارفها من العوامل الجوية، والزخارف الكتابية والهندسية التي تزين هذه القبة من الداخل والتي هي على أرضية من الجص، تعود في تاريخها إلى العهدين الأيوبي والمملوكي، وذلك كما يظهر من نصوص الكتابات التي تزين هذه القبة، ومنها نص قرآني لآية الكرسي، كتبت بخط الثلث وذلك في أعلى القبة



قريبًا من مركزها، كما نفذ نص آخر أسفل القبة بالقرب من رقبتها، وهو مقسم لعدة أقسام بواسطة صرر كتابية منفذ بخط الثلث، ويتضمن توثيق ترميم كل من السلطان صلاح الدين الأيوبي، والسلطان المملوكي الناصر محمد بن قلاوون ونصهما كالتالي:

«بسم الله الرحمن الرحيم أمر بتجديد وتذهيب هذه القبة الشريفة مولانا السلطان الملك الناصر العالم العادل صلاح الدين يوسف بن أيوب تغمده الله برحمته وذلك في شهور سنة ست وثمانين وخمسمائة»

مغارة قبة الصخرة

«بسم الله الرحمن الرحيم أمر بتجديد وتذهيب هذه القبة مع القبة الفوقانية برصاصها مولانا ظل الله في أرضه القائم بسننه وفرضه السلطان محمد بن الملك المنصور الشهيد قلاوون تغمده الله برحمته وذلك في سنة ثمان عشرة وسبع مائة».

المحراب الصغير تحت الصخرة المشرفة

يوجد محراب صغير تحت الصخرة المشرفة يهبط إليه بعدة درجات وهو لا يشد اهتمام سوى عدد قليل من الزوار بسبب مساحته المتواضعة وبسبب الظلمة التي تخيم على مكانه، يبلغ



المحراب الصغير

ارتفاعه ١,٣٧ متر، أما عرضه فهو ٠,٧٦ متر، وبدلاً من الحنية المعتادة المجوفة نراها هنا مسطحة، يحيط به عمودان تزينهما حزوز ويعلوهما تاجان يزين كل منهما بقرص ويعلو العمودين عقد ذو ثلاثة فصوص، وقد زين هذا العقد بكتابة من الخط الكوفي القديم بعبارة «لا إله لا الله محمد رسول الله».

والخلاصة يمكننا القول بأن هذه القبة ذات التصميم الهندسي الذي يصل لحد الكمال والروعة كانت مزخرفة بالفسيفساء على كل سطوحها داخلاً وخارجًا، وكانت وما زالت تبهر الرائين حتى إن كثيرًا منهم لم يملكوا أنفسهم من إضفاء كل صفات البريق واللمعان عليها، مهملين في الوقت نفسه، للأسف، أن يخبرونا ماذا كانت تلك اللوحات الفسيفسائية تمثل، ولا نستطيع أن نحكم على موضوعات فسيفساء القبة حكمًا كليًا لأن جزءًا كبيرًا من الفسيفساء الأموية فُقِد، ولكننا نملك بعض الشواهد على هذه الموضوعات من فسيفساء الرواق المثمن الداخلي، يمكن الانتهاء إلى رمزيتها السياسية عند ربطها بدقة عمارة القبة.

ومخطط القبة ليس غريبًا بالدرجة التي يبدو بها اليوم، فيرى بعض المستشرقين وعلماء الآثار العرب أن تخطيط قبة الصخرة ذو أصل روماني يعرف بمخطط ضريح الشهيد، وهو عبارة عن مخطط مركزي يتحلق حول بؤرة مهمة كضريح عظيم أو تمثال إله ليتمكن الزوار من الطواف حوله، وظيفته إذن طقوسية طوافية، ولهذا السبب استعمل في الفترة المسيحية المبكرة في بلاد الشام، وفي مجمل الأراضي البيزنطية، وفي عمارة العديد من الكاتدرائيات المهمة؛ ككاتدرائية بصرى في حوران التي ما تزال بقاياها قائمة إلى اليوم، وكنيسة القيامة في القدس نفسها، وهما الاثنتان تعودان إلى فترة الحكم البيزنطي في عهد جوستينيان الذي حكم من ٥٢٧– ٥٦٥ م.

ولكن قبة الصخرة أكثر هذه المخططات توازنًا هندسيًا، وهي من دون أي شك قد قصد بها التمايز والتنافس مع قبة قبر المسيح في كنيسة القيامة التي تطل عليها من أعلى جبل المُوريا، ويرى الدكتور فريد شافعي أن تخطيط قبة الصخرة لا يطابق أي تخطيط لنماذج العمائر البيزنطية في منطقة بلاد الشام أو في غيرها، بل هو تحوير واقتباس منها ليتفق مع الغرض الذي شيد من أجله البناء، وهو أن يحيط بالصخرة، وهي البقعة المباركة التي عرج منها محمد صلى الله عليه وسلم إلى السماء حين أسرى به ربه من مكة المكرمة إليها، ولذا فقد روعي في التخطيط أن يوفر غرض تعيين تلك البقعة، ثم غرض الطواف حولها للتبرك بها وهو أمر يختلف تمامًا عن الذي شيدت من أجله تلك العمائر الدينية البيزنطية ذات التخطيطات المشابهة التي عادة ما توجه نحو الحنية، ولا تتعدد فيها المداخل كما تعددت في قبة الصخرة. ومهما يكن من أمر، فإن تخطيطات تلك العمائر الدينية البيزنطية ليست ابتكارات بيزنطية أو سورية، بل كانت في الأصل تخطيطات رومانية دينية سابقة، أخذت بدورها من أصول إغريقية.

وتعد فسيفساء قبة الصخرة من الناحية الحرفية امتدادًا للفسيفساء البيزنطية في بلاد الشام والدولة البيزنطية، ولها العديد من الأمثلة في كنائس بلاد الشام والعاصمة: القسطنطينية، وأشهرها آيا صوفيا، وكنائس سالونيكا الإغريقية، غير أن فسيفساء قبة الصخرة ذات موضوعات معقدة في أصولها وكيفية اختيارها ومعانيها، فعلى خلاف النماذج البيزنطية التي تتشارك وإياها في التقنية، تركز لوحات قبة الصخرة على الموضوعات المحورة عن الطبيعة، والتي ربما تكون تحويرًا لتيجان ملوك ومستلزمات وظيفتهم من صولجانات ومجوهرات وما شابهها، هذا فضلاً عن الموضوعات

الزخرفية المنفذة بالأسلوب الطبيعي الواقعي، خاصة فيما يتعلق بزخارف النباتات، والثمار، والأوراق.

فعن الفسيفساء الخارجية لقبة الصخرة، تذكر بعض المصادر التاريخية أن بناء قبة الصخرة كان مغطى بالفسيفساء الملونة من الجهة الخارجية، كما هو الحال في الجدران الداخلية من جدران القبة، ويقول القزويني عن قبة الصخرة: «فهي منمقة من الداخل والخارج بالفسيفساء، مطبقة بالرخام الملون»، كما يقول ابن بطوطة: «في ظاهرها وباطنها من أنواع الزواقة ورائق الصنعة ما يعجز الوصف»، أما مؤلف الحضرة الأنسية فيقول: «وأرض القبة مبنية بالرخام باطنها وظاهرها، ومزينة بالفصوص الملونة الباطن والظاهر».

إن الأمثلة السابقة من أقوال المؤرخين والرحالة الجغرافيين، تشير إلى تغطية الجدران الخارجية للقبة بالفسيفساء، دون تحديد لنوع الزخرفة، فهل هذه الإشارات التاريخية من قبل بعض المؤرخين والرحالة دليل كاف على وجودها؟ وأين هذه الفسيفساء؟ و لم استعيض عنها بالبلاط الأزرق؟.

وقبل الإجابة على هذه الأسئلة يجب عرض مشاهدات الحجاج الذين زاروا الأراضي المقدسة، فقد ذكر بعضهم تفاصيل أكثر عن طبيعة الزخارف الفسيفسائية الخارجية، مشوبة بالكثير من المزاعم والإشارات إلى بعض الصور، ففي عام ١٤٨٠م زار الحرم فابري الذي ألف كتابًا بعنوان «Evagatorium»، تحدث في الجزء الثاني منه عن مشاهداته للفسيفساء الخارجية التي تمثلت في رسوم الأشجار وصور الملائكة المجنحة، ويضيف قائلاً: «إن هذا ينطبق تمامًا مع الفسيفساء في الجهة الداخلية للبناء»، ويذكر أنه شاهد وجوهًا على عنق القبة بصورة واضحة. ويصف الواجهات بانتاليو دافيرو قائلاً: «من الأرض وحتى الوسط مغطاة بألواح كبيرة، كلها في لوحة من أجمل أنواع الرخام البراق، ومن الوسط نحو الأعلى إلى القمة كلها فسيفساء غنية بالتصاميم الكثيرة، من الأغصان والورود والأزهار».

كذلك يذكر أنشودي أن في سطح الجدران الخارجية من أعمال الفسيفساء ما يماثل كنيسة القديس مارك بالبندقية، باستثناء صور الملائكة المجنحة، وبالنسبة لمشاهدات كل من فابري، وما ذكره أنشودي، بخصوص الوجوه الملائكية، فقد جاءت بسبب منع الأول من دخول الحرم القدسي، ومشاهدة البناء من بُعد، خاصة تيجان الأعمدة الساسانية المزينة بهذه الأشكال، إلا أنه أشار في وصفه إلى الأشجار النخيلية وأشجار الزيتون، وبالمقابل فإن المؤرخين المسلمين جاء وصفهم للواجهات الخارجية بأنها مزخرفة بالزخارف الداخلية نفسها، التي تضم العناصر النباتية المتنوعة، وبسبب التشويه الذي حدث لها، استبدلها العثمانيون بالخزف المزجج، الذي يعلو البلاطات الرخامية.

يتضح لنا مما سبق تشتت الآراء، وعدم وجود أقوال تدل على دلالة واضحة على وجود تلك الأشكال الغريبة، التي زعموا وجودها، مثل زخرفة الملائكة المجنحة، أو صور الوجوه على عنق القبة، وهذا الاختلاف إن دل على شيء، إنما يدل على عدم رؤية هؤلاء الحجاج للفسيفساء الخارجية، أو أنهم تناقلوا هذه الرؤية من مصادر غير موثوقة، ذات مبالغات في الوصف غير الدقيق، ويمكن دحض تلك الآراء من الأقوال نفسها خاصة أقوال فابري التي تؤكد على وجود الصور الملائكية في الداخل والخارج، كما سبقت الإشارة إليه، ولكن يكفي للدلالة على عدم صحة الادعاء، أنه لا يوجد أثرًا واحدًا يدل أو حتى يشير إلى وجود أمثال تلك الصور المزعومة، لذلك فإنه يستبعد تمامًا وجود الأشكال البشرية

الخرافية، على بناء ديني إسلامي كقبة الصخرة المشرفة، لأنه لم يبق شيء من هذه الفسيفساء عمومًا.

وفي الغالب إن وجدت هذه االفسيفساء على الجدران الخارجية، فإنها تكون مؤلفة من رسوم الأشجار والثمار والأواني، بما يتطابق تمامًا مع واقع الحال داخل البناء، ويستنتج أيضًا بصورة أكثر واقعية أن الفسيفساء الخارجية لم تتعد الإطار العام الذي نُفذ على الجدران الداخلية.

هذا وقد أسهمت عدة ظروف في زوال الفسيفساء الخارجية وذلك في الواجهات الشمالية والجنوبية الغربية، وأدت إلى الاستعاضة عنها بالبلاط الخزفي الأزرق الموجود حاليًا، وذلك في فترة تاريخية متأخرة، وأهم هذه العوامل؛ هي العوامل الطبيعية بالدرجة الأولى، كتعرض الفسيفساء للظروف الجوية المختلفة، من أمطار ورياح وجفاف ورطوبة ودرجات حرارة مختلفة، فقد أدت كل هذه العوامل عبر الزمن إلى تساقط أجزاء كبيرة منها، وترتب عليها تشويه كبير للجدران الخارجية، فتم استبدالها بمادة أخرى هي البلاط الخزفي، وبسبب أثر تلك العوامل تقرر إزالة البلاطات في هذه الجهات واستبدالها بأخرى جديدة، جرى استقدامها من استنبول، حيث كانت البلاطات الأصلية قد جرى استخدامها في عهد السلطان سليمان القانوني (١٥٢١- ١٥٦٦م)، الذي جلب تلك البلاطات، وتم وضعها على الجدران، التي أصبحت جرداء نتيجة تساقط الفسيفساء، على أن سليمان القانوني قد استقدم كذلك خزافين من مدينة تبريز وأزنيق الذين تركوا تواقيعهم على الكثير من البلاطات، وهؤلاء استعانوا بطراز التحليات الفارسية القديمة، متخذين نماذج من الموضوعات النباتية المحورة عن الطبيعة، التي ميزت الطراز العثماني الجديد ذا صناعة الطلاء المتعدد الألوان، وتمتاز البلاطات أيضًا بأنها تحتوي على لونين رئيسيين هما الأبيض والأزرق، وهي من إنتاج مدينة أزنيق، وقد غطت البلاطات جدران الشكل الثماني الخارجي، والإطارات المحيطة بالنوافذ، إضافة لبعض التواشيح الخزفية لكرسي عنق القبة ونوافذها، على أن جلّ الأشكال الفنية المنفذة على البلاطات الخزفية، لا تتعدى الأشكال الهندسية، كالمعينات والمربعات، إضافة إلى بعض الزخارف النباتية، والإطارات الخزفية المزينة بالنصوص القرآنية التي تزين الأطراف العليا للواجهات، وقد تميز الطابع العثماني للبلاطات بمراوح زهرة اللوتس، والزخارف النباتية المحورة عن الطبيعة.

تجدر الإشارة إلى أن الفسيفساء الباقية على الجدران الخارجية والمتساقطة أصلاً، قد ضاع منها جزء كبير، و لم تعد كافية لإعادة ترميمها، وبذلك حفظ ما تبقى منها في المتحف الإسلامي بالحرم الشريف، ودفنت كميات أخرى في أرض الحرم في أماكن مختلفة، وقد أمكن الكشف عن بقايا الفسيفساء الجدارية الخارجية في أماكنها الطبيعية، عندما جرى ترميم بعض البلاطات، التي أصابها الخلل وتحركت من أماكنها، فكان ذلك سببًا للتأكد من وجودها، وهذا دليل على وجود الفسيفساء الخارجية، ولكن ليس دليلاً على ما ذهبت إليه الروايات المدعية أن صورًا للملائكة المجنحة والوجوه البشرية كانت موجودة، والتي نشك في وجودها، لأنه لم يبق ما يؤكد صحة هذا الادعاء، وبذلك تظل تلك المزاعم أقوالاً، لا يوجد ما يؤكدها.

إننا هنا أمام تساؤلات عديدة تطرح نفسها حول هذا المبنى ورمزيته، إن التوجهات السياسية والإعلامية والعَقَدية تبرز في الآيات القرآنية المختارة بدقة، وفي تركيز وضع صور تيجان الملوك في الرواق حول القبة وبمواجهتها؛ فالنص القرآني يحتوي على كل

الآيات التي تتكلم عن المسيح في موقعه الإسلامي المختار كنبي مرسل، والتيجان تبدو أشبه ما يكون بالتيجان الحقيقية للملوك المغلوبين، التي كان أباطرة الرومان والبيزنطيين يضعونها في معابدهم وكنائسهم كعلامات نصر ورمز إيمان بأفضلية معتقدهم، وبالتالي يمكن هنا أن ننظر إلى هذين العنصرين الزخرفيين على أنهما بالنسبة لبناة قبة الصخرة وسيلتا دعاية لدينهم ولدولتهم المنتصرَين، خصوصًا إذا تذكرنا أن قبة الصخرة قد بنيت في القدس التي كان أغلب سكانها المسيحيين ما زالوا يدينون بالولاء لإمبراطور القسطنطينية البيزنطي، في وقت كانت الدولة الأموية فيه في خضم صراع مرير مع البيزنطيين في شمال بلاد الشام.

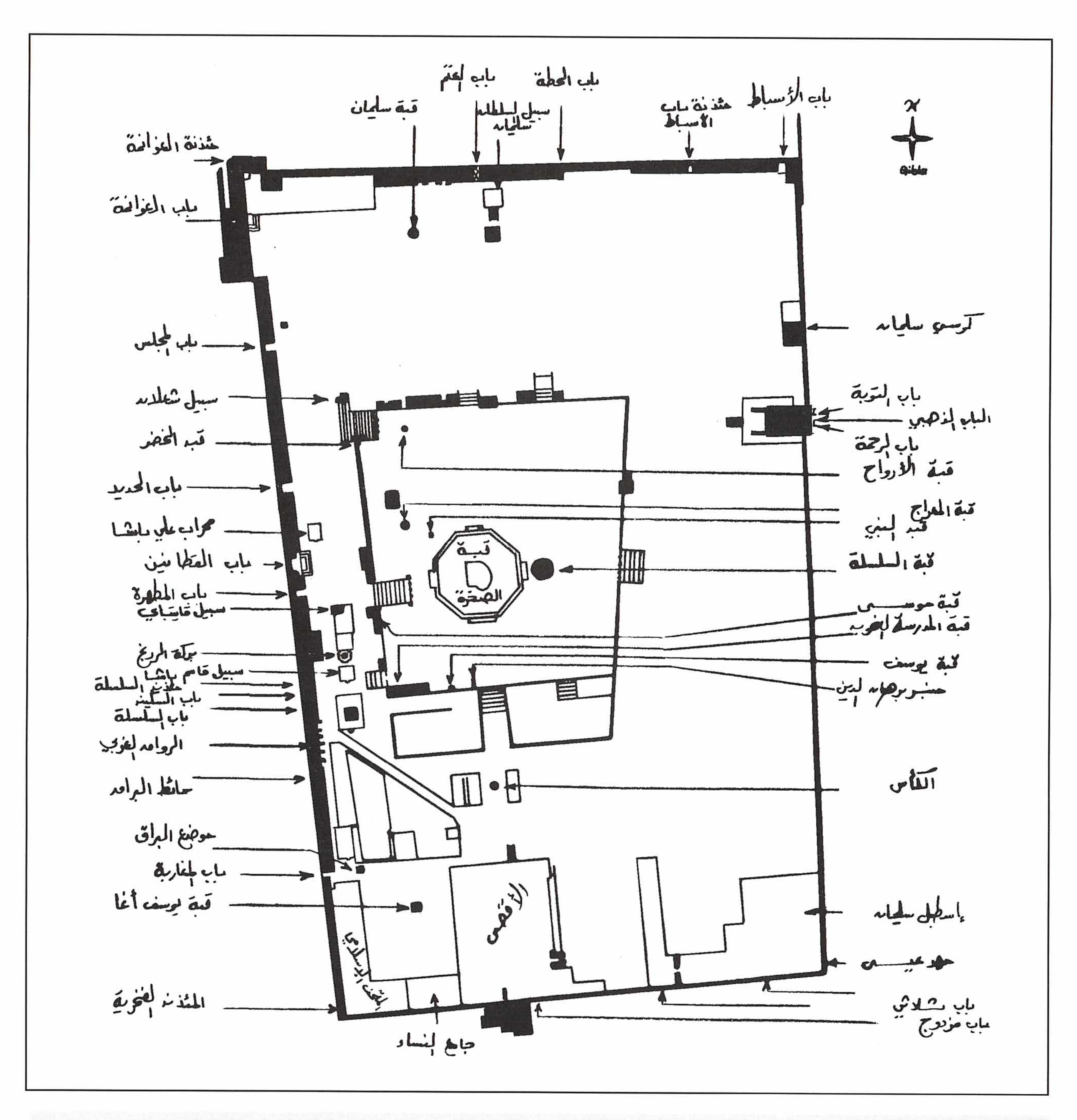
فالقبة مبنى معماري ذو رمزية سياسية ينبئ في القدس عن رغبة الدولة الأموية في بث حضارة جديدة تعبر عن أتباع الدولة المقيمين في المدينة، ويوجه رسالة إلى الآخرين عن مدى قوة الدولة ومضمون رسالتها، وظلت قبة الصخرة بلونها الذهبي، رمزًا لمدينة القدس، يعلوها الهلال الذي يوازي اتجاه القبلة، وعندما استولى الصليبيون على القدس نزعوا الهلال من فوق قبة الصخرة، وأقاموا مكانه صليبًا من الذهب، وعندما استرجع صلاح الدين القدس مرة أخرى سنة ٥٨٣هـ/ ١١٨٧م تسلَّق بعض المسلمين القبة واقتلعوا الصليب، وأعادوا الهلال إلى مكانه؛ هكذا شكَّل الموقع الذي شيدت عليه قبة الصخرة جانبًا من الرمزية السياسية.

وإذا كان للقباب في بعض استخداماتها رمزية سياسية مباشرة أو غير مباشرة، فقد استخدمت أيضًا للتعبير عن مقر الحكم أو العرش بصورة صريحة، فقد كان يعلو قصر الإمارة في دمشق قبة خضراء أعطت القصر اسمه. كما قام الحجاج بتقليد سادته بإقامة قبة خضراء لدار الإمارة في واسط. وكان يعلو قاعة العرش أو الحكم بقصر الذهب في بغداد قبة كبيرة خضراء على رأسها تمثال فارس بيده رمح يعبر عن قوة الدولة وبطشها في مواجهة أعدائها. وفي سامراء تميزت الدار الخاصة بالخليفة المعتصم بجناح قاعة العرش المؤلف من قاعة مربعة مركزية مسقوفة بقبة. واستخدمت القبة الخضراء كذلك لتسقيف دار العدل في قلعة صلاح الدين الأيوبي بالقاهرة، التي شيدها الناصر محمد بن قلاوون لتكون مقرًّا لنظر المظالم ولاستقبال السفراء وكذلك للعرش المملوكي، ومقرًّا للاحتفالات الرسمية، هكذا كان للقبة مدلول رمزي منذ فترة مبكرة في تاريخ العمارة الإسلامية.

شهد العصر الأموي نزاعًا حضاريًّا بين الدولة الأموية والدولة البيزنطية للسيطرة على العالم القديم، واتخذ هذا النزاع صورًا متعددة؛ منها تعريب طراز أوراق البردي التي كانت تصنع في مصر وتعريب النقود في إطار سياسة رسمها عبد الملك بن مروان؛ الهدف منها إرضاء الشعور الديني والسياسي للمسلمين، كذلك اتجه عبد الملك بن مروان في إطار هذا المخطط الشامل إلى العمارة التي ترمز إلى سيادة الدولة واتجاهها الفكري، ففي القدس تبنى مشروعًا ذا طابع سياسي ديني حضاري، يرتكز على الاهتمام بعمارة الحرم القدسي الشريف وبخاصة قبة الصخرة والمسجد الأقصى، لارتباط هذا الحرم بالعقيدة الإسلامية فهو أولى القبلتين، وفيه صلى الرسول بالأنبياء، وإليه كان إسراؤه ومنه كان معراجه، ولما كانت عمارة الحرم آنذاك بسيطة لا تتناسب مع ما حولها من كنائس، خصوصًا كنيسة القيامة المقدسة لدى المسيحيين، ومع ما قد تحدثه عمارة الكنائس في نفوس بعض المسلمين، ورغبة عبد الملك في إثبات الهوية الحضارية الجديدة للمدينة تبنى مشروع عمارة قبة الصخرة والمسجد الأقصى.



جاءت جميع أبنية القدس الشريف من الحجر، استعمل في بنائها مونة الجير، فلم يكن الأسمنت معروفًا ولا العقود الحاملة للأسمنت معروفة، والعقود الحاملة للأسقف بنيت من الحجر أيضًا، وشبابيك الأبنية صغيرة المساحة ومفتوحة في جدران سميكة لتؤمن التهوية والإضاءة، وتمنع دخول الأشعة المباشرة في نفس الوقت، وتطل بعض الأبنية على الطريق من خلال مشربيات خشبية جميلة الصنع تساعد في تهوية البيت، وتستعمل أيضًا للجلوس والاستراحة ومشاهدة

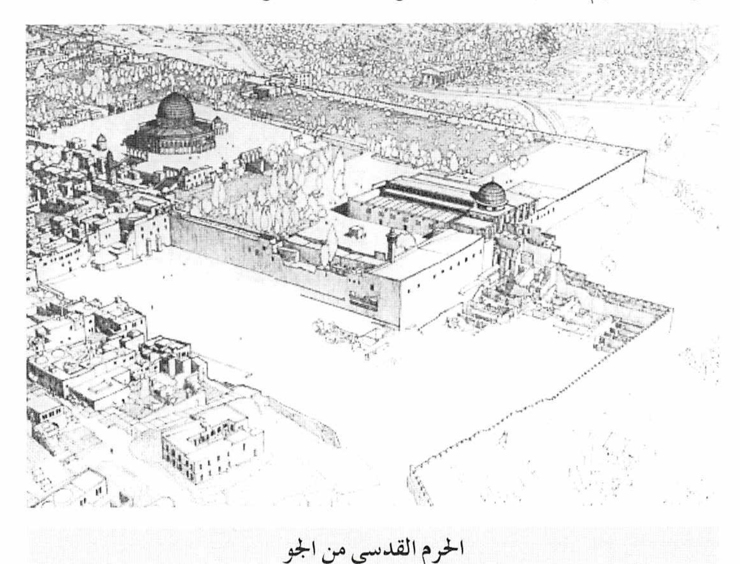


الحرم القدسي الشريف

الطريق دون أن تعرض أهل البيت إلى نظر المارة، وتتلاصق الأبنية بعضها مع بعض، وكأن القدس عبارة عن مبنى واحد متشابك الأجزاء، ومكون لنسيج المدينة الجميل الهادئ المتعاضد.

تتجلى بساطة التصميم في المساكن بتوفير الساحات الداخلية المكشوفة، (الصحن أو الفناء) كما يعرف أحيانًا، والتي تعد من أهم مميزات العمارة الإسلامية، كما أن النقاء الهندسي والبساطة وتأدية الوظيفة، واستعمال المواد الإنشائية المحلية والتهوية الجيدة والتجانس بين الأبنية في المدينة المقدسة؛ كل ذلك يعد من الأسس الهامة في تطبيق فن العمارة الإسلامية، وتعد مدينة القدس مدرسة للفن المعماري الإسلامي، وتغطي مرحلة ليست قصيرة من العصور الإسلامية ابتداءً من الأمويين حتى العثمانيين.

يقع الحرم القدسي الشريف في الزاوية الجنوبية الشرقية من مدينة القدس أعلى جبل «ألموريا» وتشغل مساحته حوالي ٢٦٠ مترًا مربعًا، ويتصل الحرم الشريف بباقي أجزاء المدينة بطرق تتفرع من أبواب الحرم الشريف التسعة وتمتد بين أجزاء المدينة المختلفة ذات



الحرم القدسي من الجو

الوظائف المتعددة، وتمتاز طرق المدينة المقدسة بأنها ضيقة ومخصصة للمارة وبعضها مغطى ببائكات معقودة، ونجد بعضها الآخر مفتوحًا، وبنيت المدارس والمساكن، والزوايا، والسبل للسقاية على جانبي الطريق، ومثل هذه النوعية من الطرق توفر الظلال المريحة للمشاة وتخفف من حدة حرارة الجو، وتمنع سقوط أشعة الشمس مباشرة على المارة وخصوصًا في الصيف.

أما الطرق المخصصة للأسواق بالمدينة مفتوحة على بعضها البعض لتسهيل الاتصال من سوق إلى آخر. أما الحارات السكنية فينتهي بعضها إلى نهاية مسدودة لتوفر للحارة الواحدة الشعور بالاستقلالية، وبإمكان الإنسان أن يقطع جميع طرق القدس الشريف في وقت قصير، وأن يقضي جميع احتياجاته سيرًا على الأقدام دون تعب أو ملل.

يضم الحرم القدسي عددًا من المنشآت المعمارية الإسلامية؛ منها قبة الصخرة والمسجد الأقصى، بالإضافة إلى عدد من الأسبلة والقباب التي بنيت على فترات تاريخية مختلفة، بالإضافة إلى عدد من المآذن والعناصر المعمارية الأخرى من منابر ومحاريب، يحيط بالحرم سور فُتحت به عدة أبواب يصل عددها إلى خمسة عشر بابًا، وفيما يلي وصف تفصيلي لما يضمه الحرم القدسي الشريف من هذه المنشآت:

الرواق الشمالي

يقع بالجهة الشمالية من الحرم الشريف، تعاقب على بنائه أمراء وسلاطين الدولتين الأيوبية والمملوكية، بدءًا من عام ٦١٠هـ /١٢١٣م حيث تعمير وتجديد القسم الواقع ما بين باب العتم والمدرسة الفارسية، وذلك طبقًا للنص الموجود بالدعامة الغربية للظلة الداخلية لباب العتم والمكون من خمسة أسطر باللغة العربية

منفذة بخط النسخ ونصه كالتالي:

١–جدد هذا الرواق في أيام دولة سيدنا ومولا
٢–نا السلطان العالم الملك المعظم ابي الفتح عيسى
٣– ابن السلطان الملك العادل أبو بكر ابن أيوب خلد
٤– الله ملكهما في سنة عشر وستمائة والحمد لله وحده
٥– في ولاية الأمير الأجل عز الدين عمر ابن يغمر.

ثم توالى بناء الرواق الشمالي في فترات متتابعة في الفترة المملوكية على يد نجم الدين يوسف عام ٦٩٤هـ/١٢٩٤م، حيث أكمل الجزء الممتد بين باب الحطة وباب العتم، وخلال عهد السلطان الملك الناصر محمد قام الأمير علم الدين سنجر الشجاعي بإنشاء الجزء الواقع في الركن الشمالي الغربي للحرم القدسي في عام ٧١٥هـ/ ١٣١٥م، أما آخر أجزاء الرواق فكانت من إنشاء السلطان المملوكي الأشرف شعبان بن حسين في عام ٧٦٩هـ/ ١٣٦٧م ويمتد هذا الجزء في المسافة الواقعة بين باب الأسباط وباب الحطة.

ويتألف الرواق الشمالي من عقود حجرية مدببة تقوم على دعامات حجرية متتابعة غطيت بسلسلة من الأقبية المتقاطعة.

باب الأسباط

يقع بالسور الشمالي للحرم، ويتخذ شكل عقد حجري مدبب يؤدي إلى ردهة مغطاة بقبو متقاطع، وهو يقع على الحرم بعقد حجري مدبب مماثل للعقد الخارجي.

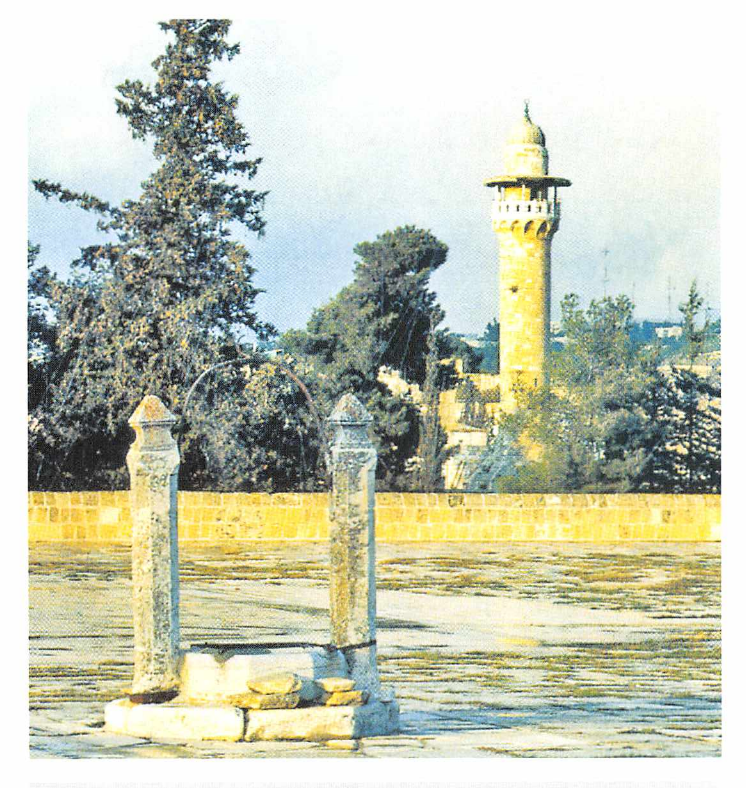
مئذنة باب الأسباط

أنشأها الأمير سيف الدين قطلوبغا نائب القدس في عام ٧٦٩هـ/١٣٦٧م، في عهد السلطان الأشرف شعبان بن السلطان حسن، وتقع في الركن الشمالي الشرقي لسور الحرم، وتعرف باسم «المئذنة الصلاحية» ربما لقربها من المدرسة الصلاحية أو بـ «مئذنة بني إسرائيل» لقربها من بركة بني إسرائيل.

تتكون هذه المئذنة من بدن أسطواني حجري مقام على قاعدة مربعة، لها مدخل جنوبي متوج بصفوف من المقرنصات الحجرية، وينتهي البدن الأسطواني بشرفة مؤذن مستديرة مغطاة بقبة ضحلة.

باب الحطة

وهو من أقدم أبواب الحرم الشريف، ويقع بالسور الشمالي منه، ويعود تاريخ الباب الحالي إلى الفترة الأيوبية حيث رمم في عام ٦١٧هـ/ ١٢٢٠م، له مدخل حجري شاهق الارتفاع



مئذنة باب الأسباط

معقود بعقد مدبب على جانبيه مكسلتان حجريتان، يغلق على المدخل باب ذو مصراعين من الخشب.

أشار الرحالة ناصر خسرو إلى أن الله عز وجل أمر بني إسرائيل بالدخول إلى الحرم من هذا الباب، وجاء في سورة البقرة الآية رقم ٥٨ «وَإِذْ قُلْنا ادْخُلوا هَذه القَرية فَكُلُوا منْها حيثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وادْخُلوا البَابَ سُجَّدًا وقُولُوا حِطَّةٌ نَغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ وَسَنزيدُ الُمْحسِنين».

ويبدو أن أصل هذا الباب كان مزدوجًا، وأن القسم الغربي قد أغلق على الأغلب عند بناء التربة المملوكية الأوحدية (٦٩٧هـ/ ١٢٩٨م) والمجاورة لمدخل الباب الحالي جهة الغرب.

وجد نص تأسيسي لتجديدات الملك المعظم عيسى عام ٦١٧ هـ بأعلى فتحة المدخل المعقودة، ويقرأ كالتالي:

«(جدد هذا الباب في أيام دولة السلطان الملك المعظم شرف الدين عيسى بن الملك العادل سيف الدين أبي بـ) ـكر بن أيوب وذلك في شهر رجب من سنة سبع (؟) عشرة وستمائة....».

المدرسة الفارسية

تنسب هذه المدرسة إلى واقفها الأمير فارس البكي بن الأمير قطلو بن عبد الله، نائب السلطنة بالأعمال الساحلية والجبلية، نائب غزة.

قامت هذه المدرسة بدورها في الحركة الفكرية في القدس، وقد تولى مشيختها عدد من العلماء، ودرَّسوا فيها، وذلك حتى القرن الحادي عشر الهجري وربما بعده.

تقوم هذه المدرسة فوق الرواق الشمالي من أروقة الحرم الشريف، ولها مدخل في الواجهة الرئيسية، ويتم التوصل إليها عبر درجات من داخل الحرم القدسي، ويحف بالمدخل مكسلتان حجريتان، يعلوه عقد حجري مدبب، ويعلو المدخل نافذتان متجاورتان، يعلوهما حطات من المقرنصات.

والساحة مكشوفة شبه مربعة، وتقوم في جنباتها قاعة، وتجاورها غرفة من جهة الشرق، ويقوم عدد من الغرف الصغيرة، وبعض الممرات المقباة التي تشبه الدهاليز، وذلك في الجهتين الشمالية والشرقية، أما الجهة الغربية فيشغلها غرفة صغيرة، ودرج يؤدي إلى الطابق الأول من المدرسة المجاورة لها وهي «المدرسة الأمينية»، ويتوصل إليه من مدخل بباب العتم إلى يمين الداخل منه.

والمدرستان الأمينية والفارسية متداخلتان في البناء، والتخطيط المعماري، إلا أن المدرسة الفارسية تعلو المدرسة الأمينية في المستوى.

باب العتم

وهو الباب الذي دخل منه الخليفة عمر بن الخطاب القدس، ويقع بالسور الشمالي للحرم، ويعرف بـ«باب شرف الأنبياء»، و«باب الدويدارية»، كما يعرف بـ «باب الملك فيصل» تخليدًا لذكرى تبرعه لعمارة المسجد الأقصى.

يتكون هذا الباب من مدخل مرتفع على هيئة عقد حجري مدبب، يغطي فتحته مصراعان من الخشب، بأحدهما خوخة، وتقوم فوق هذا الباب المدرسة الباسطية، والمدرسة الأمينية.

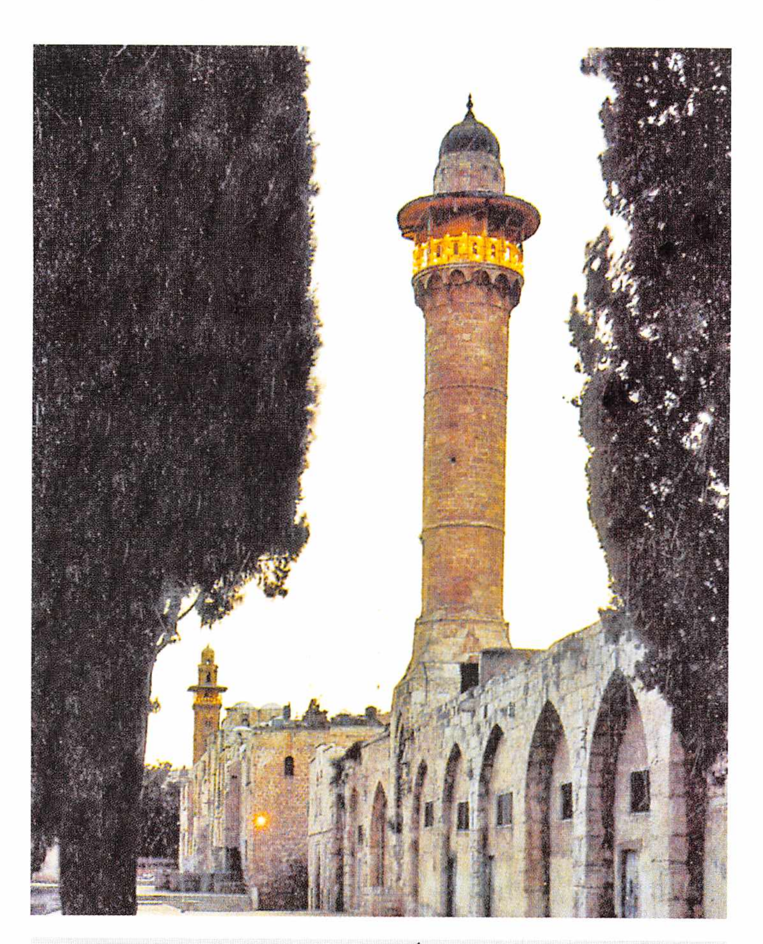
المدرسة الأسعردية

أنشئت هذه المدرسة في عام ٧٦٠هـ/ ١٣٥٨م، ووقف هذه المدرسة مجد الدين عبد الغني بن سيف الدين أبي بكر يوسف الأسعردي، وكان تاجرًا، في عام ٧٧٠هـ/ ١٣٦٨م.

وتتكون المدرسة من طابقين من البناء، يتوسطهما صحن مكشوف مربع الشكل، ويتوصل إليها من داخل الحرم الشريف

بواسطة عدة درجات تؤدي إلى قاعة مفتوحة على الصحن، يحيط بالصحن خلاوي صغيرة ذات مداخل معقودة.

أهم ما يميز هذه المدرسة القاعة الكبرى المطلة على ساحة الحرم الشمالية، وتقع خلف القاعة الأولى المفتوحة على الصحن، وهي عبارة عن بناء يتكون من قاعة مستطيلة الشكل، أقيمت عليها ثلاثة أقبية مروحية، تنتهي من الخارج بثلاث قباب صغيرة، يتوسط الواجهة الجنوبية من هذه القاعة محراب ذو حنية محلاة بمقرنصات بديعة الشكل.



مئذنة باب الأسباط، ومئذنة الغوانمة

مئذنة الغوانمة

تقع عند الركن الشمالي الغربي للحرم القدسي، أنشأها القاضي شرف الدين عبد الرحمن بن فخر الدين الخليلي ناظر الحرمين الشريفين وذلك عام ٦٧٧هـ/ ١٢٧٨م، ولهذه المئذنة قاعدة حجرية مرتفعة تنتهي بمجموعة من المقرنصات الحجرية التي يبدأ منها الطابق الثاني فتحت بجوانبه الأربع نوافذ مربعة، ويشغل الطابق الثالث من المئذنة دخلات صماء في وسط كل منها عمود رخامي على جانبيه عمودان متماثلان، تحمل هذه الأعمدة عقدين مدببين لهما صنجات على هيئة مخدات متلاصقة، وينتهي هذا الطابق بحطات من المقرنصات الحجرية تحمل شرفة المؤذن، يعلو السقف المسطح لشرفة المؤذن جوسق مثمّن مكون من ثمانية عقود مدببة مغطّى بقبة صغيرة.

باب الغوانمة

يقع باب الغوانمة في السور الغربي للحرم القدسي باتجاه الشمال، عرف قديمًا باسم باب الخليل، كما عرف بباب الوليد، وسمي بباب الغوانمة حيث إنه ينتهي إلى حارة بني غانم، ويتكون من مدخل معقود بعقد حجري مدبب ذي مصراعين من الخشب، يؤدي هذا المدخل إلى دهليز مستطيل مغطّى بقبو طولي ينتهي بدوره إلى داخل الحرم الشريف عبر درجات سلم تهبط إليه.

باب الناظر

يقع باب الناظر في السور الغربي للحرم، يرجع بناؤه إلى فترة سابقة للعهد الأيوبي، إلا أنه جدد في عهد الملك المعظم عيسى عام ٦٠٠ هـ/ ١٢٠٣م، عرف هذا الباب باسم «ميكائيل»، كما عرف باسم علاء الدين البصير وباب الحبس وباب النذير، ويعرف الآن بباب الناظر أو باب المجلس.

وهو باب ضخم، محكم البنيان، يتخذ شكل عقد حجري مدبب، توجد في أعلاه صنج معشقة، ويغطي فتحته باب خشبي مصفح بالنحاس، وجميع ما في داخل هذا الباب من أقبية ومبانٍ وقفه الأمير علاء الدين آيدغدي، على الفقراء القادمين لزيارة القدس.

سبيل البصيري

يعرف هذا السبيل باسم سبيل باب الحبس، ويقع بالقرب من باب الناظر، لم يعرف تاريخ بنائه على وجه التحديد، وتم تجديده في عهد الأمير حسن قبجا، نائب السلطان وناظر الحرمين الشريفين في عام ٨٣٩هـ/ ١٤٣٥م، في عهد السلطان الأشرف قايتباي، كما يبدو في نقشين كتابيين علقا على واجهة السبيل الجنوبية، ويحتوي السبيل على بئر للماء، أقيم فوقه مربع مغطى بقبة، وذلك بعد تحويل أركان المربع إلى دائرة بملء أعلى الأركان بمثلثات كروية، وللسبيل ثلاث نوافذ تغطيها مصبعات حديدية، في الجهات الجنوبية، والغربية، والشمالية، بأسفل كل منها صنبور للماء، وفي الجهة الشرقية للسبيل مدخل يصعد إليه بدرجات.

سبيل الشيخ بدير

عمر هذا السبيل الحاج مصطفى أغا براونه، والي القدس في عهد السلطان محمود بن السلطان مصطفى الثاني، وكان السبيل قد بني قبل ذلك العهد.

السبيل عبارة عن بناء صغير الحجم، تم بناؤه من الحجارة الحمراء والبيضاء، وبوسط السبيل بئر للماء، تقوم فوقه قبة صغيرة ترتكز على أربعة أعمدة صغيرة، تعلوها عقود مدببة، سدت الجهة الشرقية من السبيل بجدار حجري يصل بين العمودين في هذه الجهة.

باب الحديد

يقع بين بابي الناظر والقطانين في السور الغربي للحرم، ويقع في دخلة قليلة الغور، متوجة بعقد حجري مدبب على جانبيها مكسلتان من الحجر، وفتحة الباب مستطيلة لها عتب حجري، وبأعلى العقد المدبب فتحة معقودة بعقد نصف دائري مزخرف.

باب القطانين

سُمي بهذا الاسم لأنه ينتهي إلى سوق القطانين، وهو باب قديم جُدد في عهد السلطان الناصر محمد بن قلاوون، وهو باب في غاية الإتقان، ويتميز بغناه بالعناصر المعمارية والزخرفية، ويتكون من مدخل يغطيه مصراعان من الخشب مصفحان بالنحاس يعلوه شريط كتابي يتضمن اسم مجدد «الأمير سيف الدين تنكز الناصري» ونصه «بسم الله الرحمن الرحيم، جدد بناء هذا الباب في عهد ...الملك الناصر محمد بإشارة (أو بمباشرة) سيف الدين تنكز الناصري... في أشهر سنة ٧٣٧» في عام ٧٣٧هـ/ ١٣٣٦م، ويتضح من استعمال تعبير بإشارة أو بمباشرة أن النقش التأسيس كان نقشًا ملكيًا، أي أن تنكز الناصري كان ممثلاً للملك في هذا الشأن.

يعلو الشريط الكتابي عقد ثلاثي الفتحات يتكون من أحجار سوداء وبيضاء تعلوه مجموعة من المقرنصات التي تعلو ربع رقبة يتقدمها عقد حجري مدبب يتكون من أحجار حمراء وبيضاء.

باب المطهرة

يقع هذا الباب بالسور الغربي للحرم القدسي، وكان يعرف قديمًا باسم «باب المتوضأ»، ويعرف اليوم باسم «باب المطهرة»، وهو باب من النوع المتوسط الحجم، يتوصل إليه من أرض الحرم



سبيل قايتباي ومئذنة السلسلة

عن طريق عدة درجات، ويتكون من مدخل حجري معقود بعقد مدبب، على جانبيه عمودان رخاميان يحملان عقدًا مدببًا، صنجاته المعشقة على هيئة مخدات متلاصقة، ويغطي فتحته مصراعان من الخشب، يؤدي إلى ممر مكشوف لتوفير الإضاءة ولتهوية المطهرة، يؤدي هذا الممر إلى المطهرة.

مئذنة السلسلة

تقع مئذنة السلسلة عند السور الغربي للحرم، أنشأها الأمير سيف الدين تنكز الناصري أحد أمراء الناصر محمد بن قلاوون عام ٧٣٠ هـ/ ١٣٣٠م، وتعرف هذه المئذنة أيضًا باسم «منارة الحكمة».

لهذه المئذنة قاعدة مربعة يليها طابق ثانٍ أقل اتساعًا فتحت في جهاته الأربع نوافذ، يليه طابق ثالث مماثل للطابق الثاني وتتوج نوافذه صفوف من المقرنصات الحجرية، يلي ذلك شرفة المؤذن التي تستند على كوابيل حجرية يعلوها جوسق مثمن يحمل طاقية تعرف بـ«المبخرة».

المدرسة الأشرفية

تقع المدرسة الأشرفية، في داخل الحرم الشريف، بين بابي السلسلة والمطهرة، وتحدها من الشمال المدرسة العثمانية، ومن الغرب المدرسة البلدية، كما أن المدرسة الأشرفية تواجه قبة الصخرة المشرفة من جهة الغرب.

تعتبر المدرسة الأشرفية من أعظم المعالم التي بناها المماليك، في بيت المقدس وقد اكتمل إنشاؤها في عهد السلطان المملوكي قايتباي سنة ٨٧٧هـ/١٤٨٢م، وظلت مزدهرة متألقة حتى داهمتها هزة أرضية عام ٩٥٢هـ/١٥٤٥م دمرت معظم الطابق الأول منها، حيث بقي جزء قليل منها، يوضح العناصر المعمارية والزخرفية التي كانت تتحلى بها هذه المدرسة، وتدلنا على مدى الزخم المعماري الذي كان يزين هذا المعلم الفريد؛ حيث وصفها المؤرخ مجير الدين بالجوهرة الثالثة في بيت المقدس، يقول في ذلك:

«كانوا يقولون قديمًا إن مسجد بيت المقدس به جوهرتان هما الجامع الأقصى وقبة الصخرة الشريفة وهذه المدرسة صارت جوهرة ثالثة، فإنها من العجائب في حسن المنظر ولطف الهيئة».

وقد تم بناء هذه المدرسة مرتين خلال فترة زمنية لا تقل عن سبعة عشر عامًا، ابتداءً من ٨٧٠هـ إلى ٨٨٧هـ، حيث تم بناؤها للمرة الأولى في خلال أعوام ٨٧٠ و٨٧٢هـ، في عهد السلطان خشقدم على يد ناظر الحرمين الشريفين الأمير حسن الشريف، حيث كانت مدرسة بسيطة وصغيرة الحجم، تقوم فوق الرواق الغربي للحرم الشريف.

وانتقلت الملكية الشرفية للمدرسة بعد وفاة السلطان خشقدم عام ٨٧٢هـ إلى السلطان قايتباي الذي زار القدس عام ٨٨٠هـ ولم يعجبه منظرها القديم، فأمر بهدم البناء القديم واستبداله بمبنى جديد يليق بمستواه السلطاني.

وبدئ ببناء أساسات المدرسة الجديدة في عام ٨٨٥هـ، حيث قام المعماريون ببناء قاعة الاستقبال (القاعة الشمالية)، تحت الرواق، بينما استمروا في إزالة المدرسة القديمة الواقعة فوق الرواق.

وتم في عام ٨٨٦هـ استدعاء فريق من المعماريين والنحاتين والحجارين المهرة، المتخصصين في أعمال العمارة والزخارف الإسلامية من مصر للمساهمة في بناء المدرسة. وقد اكتمل بناء المدرسة الأشرفية في عام ٨٨٧هـ حسب ما يشير إليه النص التذكاري الموجود على المدخل الرئيسي للمدرسة وأمر السلطان قايتباي بزيادة الأوقاف الموقوفة على المدرسة نتيجة لعملية توسيعها وتجديدها، ولقد كثرت المدارس في مدينة القدس حتى صارت قبلة للعلماء، وتعددت معارف هؤلاء العلماء ومؤلفاتهم ومنهم على سبيل المثال عالم الرياضيات شيخ الإسلام شهاب الدين أبو العباس أحمد المشهور بابن الهائم، توفي ٨١٥هـ/ ١٤١٢م، ولهذا العالم العديد من المؤلفات في علوم الحساب والجبر والمقابلة والهيئة وغيرها من العلوم، لكن أبرز مؤلفاته «نزهة النفوس في بيان التعامل بالفلوس»، وقد أمدنا هذا المخطوط بكثير من المعلومات عن الحياة الاقتصادية في القدس؛ وبخاصة المعاملات المالية المختلفة التي كانت مستخدمة في المدينة آنذاك، وقام بتأليف هذه المخطوطة في القدس عام ٨٠٣هـ وتقع في إحدى وستين صفحة من القطع المتوسط، قسمها إلى خمسة أبواب. وهي موجودة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٢٥٨٧١.

بابا السلسلة والسكينة

يقعان في السور الغربي للحرم الشريف، في مقابلة قبة موسى، وهما من الأبواب الرئيسية للحرم، يصفهما العمري بقوله «بجوار منارة باب السلسلة يوجد بابان، الشمالي منهما مغلق ويسمى باب السكينة، والجنوبي يعرف بباب السلسلة وهو مفتوح، وكان يعرف قديمًا بباب السحرة».

يرجع بناء البوابتين إلى العصر الأيوبي وذلك طبقًا للنقش الموجود أعلى الجانب الشمالي من عقود باب السكينة، والمكون من أربعة أسطر بالخط النسخي، فالتاريخ الوارد بالنقش يشير إلى أن إنشاء الرواق الخارجي لباب السكينة وباب السلسلة كان بعد حكم صلاح الدين للقدس ٥٨٣هـ/ ١١٨٧م، وقبل عام ٥٩٥هـ/ ١١٩٨- ١١٩٩م، ويقرأ كالتالي:

١- بسم الله الرحمن الرحيم رحم الله من ترحم على الفقير الذي بنا هذه البقعة المباركة وجعلها

٢- مكتبا على أولاد المسلمين عامة لتعلم القرآن فيها وقف على الدار المعروف بدار أبي نعامة

٣- تحت القبو مقابل باب المسجد الأقصى عمره الله تعالى ويكون أجرته تصرف به (؟) إلى المعلم والدار في يده

٤- لاجرة تعلم الايتام والمساكين وما فضل من (؟) عمارة المكتب والدار واشعال القنديل

٥- تحت القبو والماء للصبيان لغسل الألواح والشرب بشرط ان يكن

٦- المعلم من اهل الدين والصلاح وهذا وقفا مؤبدا مخلدا لا يغير ولا

٧- يبدل فمن بدله بعد ما سمعه الاية جعل الله سعيه مشكور وذنبه مغفور ونور مضجع صلاح

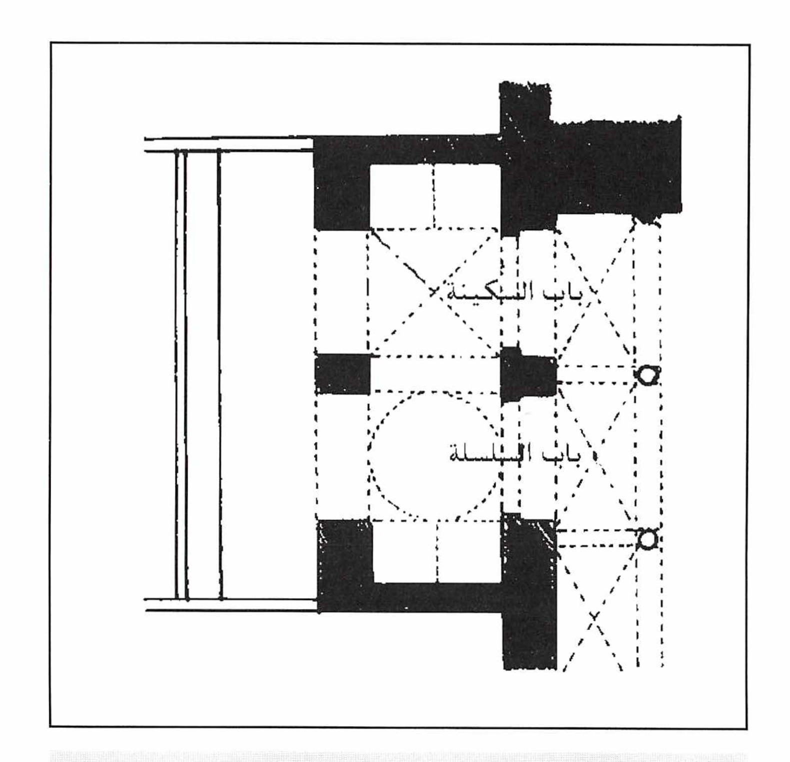
٨- الدين رحمه الله وحفظ اولاده في العز والتمكين وكتب ذلك في شهور سنة خمس وتسعين وخمس وتسعين وخمسمائة

يتكون بابا السلسلة والسكينة من مدخلين مرتفعين، يتخذ كل منهما عقدًا مدببًا، تعلوهما صنج حجرية معشقة، ويغطي فتحة مدخل كل منهما مصراعان من الخشب، ويزين المدخلين من الخارج ثمانية أعمدة رخامية، أربعة من كل طرف.

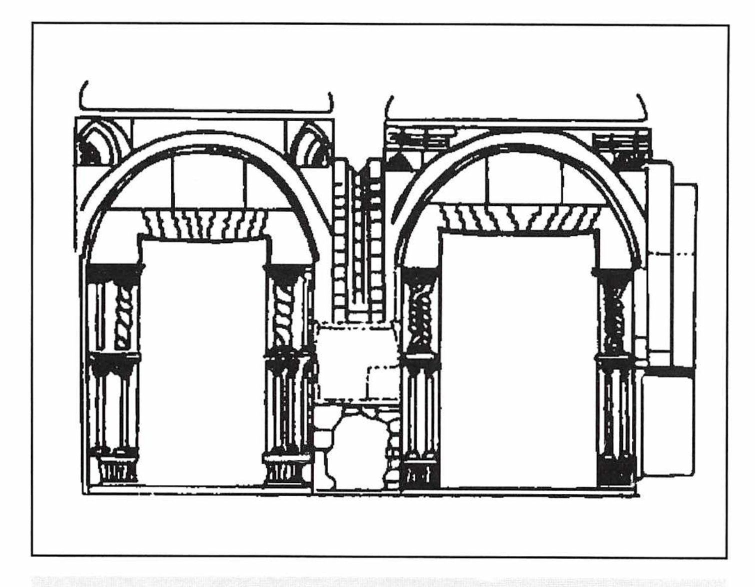
يقع بين البابين خزان مياه دائري مضاف حديثًا وهو غير مستعمل الآن، محاط بقبة من المعدن، ويذكر مجير الدين أن السلطان قايتباي والذي كان مسئولاً عن عمارة المدرسة الأشرفية والسبيل، قام ببناء فسقية بين بابي السلسلة والسكينة، وهو نفس المكان المقام عليه خزان المياه اليوم حيث لم يظهر أي أثر لهذه الفسقية في مخططات القرن التاسع عشر.

الرواق الغربي

بنيت الأروقة الغربية في بداية القرن الثامن الهجري، وكانت تعقد داخلها حلقات العلم، وتتألف من دعامات حجرية، تمتد من نهايتها عقود مدببة ترتكز على سور الحرم، في أواخر العصر العثماني سُدَّت فتحات الرواق المطلة على ساحة الحرم بغرض استعمالها أماكن لإيواء الفقراء من المسلمين الوافدين إلى القدس إلى أن فتحت وعادت إلى ما كانت عليه في العام ١٩٢٢م.



مسقط أفقي لبابي السلسلة والسكينة



واجهة بابي السلسلة والسكينة

حائط البراق

يمثل الجزء الجنوبي من جدار الحرم القدسي، يبلغ طوله ٤٨ مترًا، وارتفاعه ١٧ مترًا، ويشكل جزءًا من الأقصى، وفي هذا المكان المبارك وصل الرسول صلى الله عليه وسلم عندما أسرى من الكعبة إلى الأقصى.

يطلق اليهود على هذا الجدار اسم «حائط المبكى» حيث يأتون في عصارى كل الأيام وبخاصة أيام الجمعة لينوحوا على زوال مجدهم، فيقفون أمام هذا الجدار ويبكون على حالتهم ويتذكرون أزمانهم ويصلون إلى الله أن يعيد لهم سابق مجدهم، بأصوات حزينة وبكاء مر.

يدَّعي اليهود أن هذا الحائط من بقايا الهيكل، ومما لا شك فيه أن الهيكل الأول الذي بناه سليمان عليه السلام قد هدمه «نبوخذ نصر» عام ٥٨٧ ق.م، وأن الهيكل الثاني الذي بناه هيرود عام ١٨ ق.م، قد هدمه «تيطس الروماني» عام ٧٠ م، وأزال آثاره بالكامل «هدريان الروماني» عام ١٣٥ م.

وقد أثيرت القضية دوليًا عام ١٩٣٠ م، وشكلت لجنة دولية للتحقيق كان أعضاؤها من الدول المسيحية، ووافق مجلس الأمم في مايو / أيار ١٩٣٠م على تأليفها وأقر اليهود صلاحيتها وكان لهم ثلاثة وكلاء هم المحامي«مردخاي ألباش»، و«داود يلين» وهو مستوطن قديم، والحاخام «موشي بلاو»، وأصدرت قرارها كما يلي: «للمسلمين وحدهم تعود ملكية الحائط الغربي، ولهم وحدهم الحق العيني فيه لكونه يؤلف جزءًا لا يتجزأ من ساحة الحرم الشريف التي هي من أملاك الوقف، وللمسلمين أيضًا تعود ملكية الرصيف الكائن أمام الحائط وأمام المحلة المعروفة بحارة المغاربة المقابلة للحائط لكونه موقوفًا حسب أحكام الشرع الإسلامي لجهات البر والخير، كما أن لليهود حرية السلوك للحائط الغربي لإقامة التضرعات في أيام السبت والأعياد الدينية الرسمية، ومن جهة أخرى لا يحق للمسلمين إحداث ما من شأنه أن يمنع اليهود من حق العبادة في هذا المكان، أو إزعاجهم أثناء العبادة».

إن هذا القرار وثيقة صريحة عن حق الملكية وحق التصرف، وإن كان قد استغل بأسلوب خفي سماحة تعامل الدين الإسلامي والمسلمين في إعطاء حقوق ممارسة شعائر لليهود، مع تحميل المسلمين مسئولية الإزعاج أو منعهم من الممارسة، مع وضوح الحق العربي وعدم وجود أي سند لإعطاء شرعية لممارسة الشعائر المذكورة عند حائط البراق.

باب المغاربة

يعد آخر أبواب السور الغربي من ناحية الجنوب، عرف باسم «باب النبي» حتى نهاية القرن التاسع عشر الميلادي، كما يعرف باسم «باب البراق»، أما عن سبب تسميته بباب المغاربة فيعود إلى مجاورته جامع المغاربة، ونهايته عند حارة المغاربة، وهو عبارة عن عقد حجري مدبب بسيط البناء متوسط الارتفاع والسعة، له باب ذو مصراعين خشبيين يغلقان عليه.

الباب الذهبي

من المرجَّح أن هذا الباب أُسِّس في عهد هيرودس الكبير، ولم يتبق من ذلك إلا الموقع والتخطيط العام، ويتشابه تصميم هذا الباب وهيئته المعمارية مع تصميم الأبواب الأموية التي صُممت في الجدار الشمالي للحرم الشريف.

يتكون هذا الباب من بابين يعرفان باسم باب الرحمة وباب التوبة، وقد أغلق هذان البابان، ويذكر أن عمر بن الخطاب هو الذي أمر بإغلاقهما عندما فتح القدس.

سبيل السلطان سليمان

يقع داخل الحرم بالقرب من باب العتم، أنشأه السلطان العثماني سليمان القانوني عام ٩٤٣ هـ/ ١٥٣٦م، يعرف أيضًا بسبيل «باب العتم»، وهو مستطيل الشكل بأسفله حوض حجري وفوقه صنبور للماء، يعلو ذلك نقش كتابي تذكاري منفذ على الرخام يتضمن اسم السلطان وألقابه وتاريخ البناء، يعلو ذلك نقش آخر يحمل نفس المضمون لكنه مُنفذ باللغة التركية.

تشتمل الواجهة الخلفية «الشمالية» على مصلى مكشوف عبارة عن مصطبة أقرب إلى المربع، وترتفع هذه المصطبة عن أرض الحرم بنحو نصف متر تقريبًا، ويتوسط صدر هذه المصطبة محراب حجري بسيط تعلوه لوحة نقش عليها ما يشير إلى تجديد هذا المحراب من قبل السلطان سليمان بصيغة «جدد هذا المحراب الشريف في أيام مولانا السلطان سليمان ابن السلطان سليم خلَّد الله ملكه»، ويُستدلّ من هذا النقش على أن المصلى يرجع إلى ما قبل عصر السلطان سليمان ٩٢٦:٩٧٤هـ/ ١٥٢٠: ١٥٦٦م، وهو الأمر الذي يشير إلى أن السبيل هو الذي ألحق بواجهة المصلى عقب تجديد السلطان سليمان له وليس العكس.



سبيل قايتباي

محراب علي باشا

يقع هذا المحراب بالقرب من باب القطانين، أنشأه علي باشا متولي القدس في العصر العثماني عام ١٠٤٧هـ/ ١٦٣٨م، بني هذا المحراب على مصطبة مستطيلة ترتفع قليلاً عن مستوى ساحة الحرم، ويتخذ شكل مستطيل شُيِّدَ بالحجر المشهر أي بواسطة مداميك حجرية بيضاء وحمراء بالتبادل، يتوسط المحراب حنية حجرية متوَّجة بعقد مدبب، تعلوها لوحة رخامية بها نص تأسيسي سُجِّل فيها اسم المنشئ «علي باشا» وتاريخ البناء وذلك بخط النسخ.

سبيل قايتباي

يقع داخل الحرم الشريف، أنشأه السلطان الملك الأشرف قايتباي عام ٨٨٥هـ/ ١٤٨٠م، وهو عبارة عن بناء مربع الشكل شُيِّدت أحجاره بأسلوب المداميك المشهرة، ويحتوي السبيل على أربعة شبابيك للتسبيل، ويضم الطابق الأول من السبيل من الداخل «بئر الماء»، وهو خاص بتخزين مياه الأمطار، أما الطابق الثاني فيرتفع بمقدار متر واحد عن مستوى الشارع، وبه المزملة لتفريغ ماء الشرب.

بركة الرزنج

تقع بالقرب من البائكة الغربية للحرم القدسي الشريف، استخدمت هذه البركة لتخزين مياه الأمطار الشتوية، كما استخدمت كفوارة للماء، وهي عبارة عن بناء مربع الشكل،

فرشت أرضيتها وحوافها بالرخام، أقيمت بوسطها نافورة رخامية محاطة بسياج حديدي.

سبيل قاسم باشا

يقع غرب الحرم القدسي الشريف، أنشأه «قاسم باشا» والي القدس في عهد السلطان سليمان عام ٩٣٢هـ/ ١٥٢٧م، ويتكون هذا السبيل من مبنى ثماني الأضلاع تغطيه قبة أسفلها رفرف خشبي لحماية مستخدمي السبيل من حرارة الشمس صيفًا والمطر شتاءً.

وقد فُتح أسفل كل ضلع من أضلاع المثمن صنبور للمياه، أمامه مقعد حجري لجلوس المتوضئين.

جامع النساء

يقع هذا الجامع داخل الحرم القدسي جنوب غرب المسجد الأقصى، أنشأه السلطان الناصر صلاح الدين عام ٥٨٩هـ/١١٩٣م، حيث كان الصليبيون قد أقاموا خلال احتلالهم القدس مكان طعام لفرسان الهيكل، إلا أن صلاح الدين هدمه وحوله إلى مسجد بعد أن استعاد القدس، وأطلق عليه جامع النساء، حيث إن صلاة النساء به في معزل عن المصلين في المسجد الأقصى وساحته مكشوفة، كما يطلق عليه الجامع الأبيض.

ويتكون هذا الجامع من بيت للصلاة، مقسم إلى ثلاثة أقسام رئيسية مغطاة بأقبية متقاطعة، يستخدم الأوسط منها كجامع لصلاة النساء، أما القسمان الآخران فيشغلهما المتحف الإسلامي ومقر لجنة إعمار المسجد الأقصى، ويلاحظ أنه ليس هناك محراب لهذا الجامع، وإنما يعتمد على موازاة جدار القبلة لجدار قبلة المسجد الأقصى لتحديد اتجاه القبلة، ويقع مدخل هذا الجامع في الجهة الشمالية، وهو عبارة عن مدخل صغير قوامه عقد مدبب



المئذنة الفخرية

يعلوه ظلة معدنية حديثة حماية له من الأمطار، وعلى جانبي المدخل تقوم أربعة أعمدة من الرخام ذات تيجان تشغلها زخرفة أوراق الأكانتس.

المئذنة الفخرية

تسمى مئذنة باب المغاربة، أنشأها القاضي شرف الدين عبد الرحمن ابن الصاحب الوزير فخر الدين الخليلي، ناظر الحرمين الشريفين في عام ٦٧٧هـ/ ١٢٧٨م.

تتكون هذه المئذنة من بناء مربع الشكل، يقوم على قاعدة مربعة، يتم الوصول إليها عن طريق سلم حجري عند التقاء مبنى المغاربة بجامع النساء، ويقوم الطابق الأول فوق القاعدة وهو

مربع الشكل أيضًا، يليه الطابق الثاني وله شرفة حجرية مربعة محمولة على حطتين من المقرنصات بوسطها بناء مربع صغير يشكل انتهاء بناء المئذنة.

الزاوية الختنية

أنشأها السلطان صلاح الدين الأيوبي عام ٥٨٥هـ/ ١١٨٧م، وأوقفها على الصوفية في عام ٥٨٧هـ/ ١١٨٩م، وأول من تولى مشيختها الشيخ جلال الدين أحمد بن محمد الشاشي، وهو رجل من أهل الصلاح والتقوى، وكان لهذه الزاوية دور فعال في الحركة الفكرية في القدس، وقد تولى مشيختها عدد من كبار العلماء.

بقي من الأجزاء الأصلية لهذه الزاوية بعض العقود والشبابيك، وتستعمل هذه الزاوية مكتبًا للجنة إعمار المسجد الأقصى المبارك.

دار الخطابة

تقع دار الخطابة بجوار الزاوية الختنية، وهي المكان المعد لجلوس الخطيب قبل إلقاء الخطبة في يوم الجمعة، ومن خطباء المسجد الأقصى؛ محب الدين بن جماعة، وبرهان الدين بن جماعة.

تتكون هذه الدار من غرفتين، يتم الوصول إليهما من داخل المسجد الأقصى عن طريق باب يقع في الجدار الجنوبي، إلى الغرب من منبر نور الدين زنكي.

يؤدي هذا الباب إلى ممر ضيق، يمتد من الشمال إلى الجنوب، وهو مغطى بقبو نصف برميلي.

الغرفة الأولى: من الدار تقع إلى يمين الداخل من الممر، وهي ذات مسقط مربع مغطى بقبو مروحي.

الغرفة الثانية: وتقع جنوبي الغرفة الأولى، وهي مربعة أيضًا، يغطيها قبو متقاطع، وللغرفتين نوافذ متوسطة الحجم.

الخانقاة الفخرية

أنشأ هذه الخانقاه القاضي فخر الدين محمد بن فضل الله عام ٧٣٠هـ/ ١٣٢٩م، وكان قاضيًا معتنيًا بالعلم، وقد اهتم ببناء المدارس في القدس ونابلس ودمشق.

كانت هذه الخانقاه مدرسة أيضًا لها دور في الحركة الفكرية في القدس، وتولى مشيختها والتدريس فيها عدد من العلماء، واستمر التدريس فيها عدة قرون.

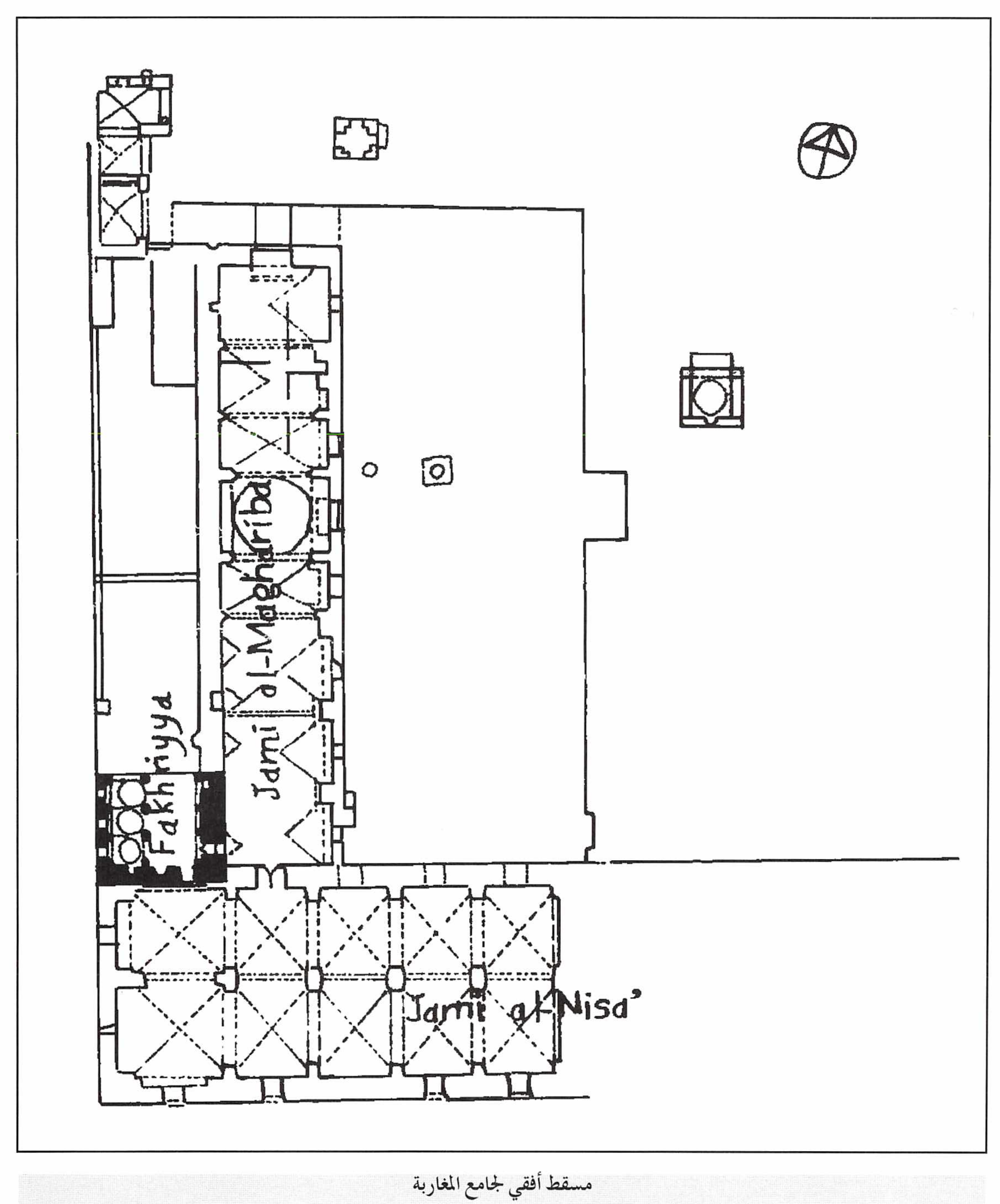
ويذكر أن هذه الخانقاه قد وقفت لتكون مدرسة دينية، ثم حولت لتكون زاوية للصوفية.

تشكل هذه الخانقاه مجمعًا معماريًا، تضم مسجدًا للصلاة وأماكن لإقامة الذكر وأخرى خاصة بتهجد الصوفيين، وإقامتهم، وأماكن للسكن.

يتكون المسجد الملحق بهذه الخانقاه من بيت للصلاة ذي مسقط مستطيل، يمتد من الشمال إلى الجنوب، تقوم في منتصفه ثلاثة أعمدة ترتكز عليها مجموعة من القباب الضخمة، يشير طراز تجديدها إلى العصر العثماني، وللمسجد محراب يتكون من حنية مزينة بالأحجار الحمراء، بأعلاها طاقية يتقدمها عقد حجري ترتكز أرجله على عمودين رخاميين.

جامع المغاربة

يقع جامع المغاربة في الركن الغربي للحرم القدسي الشريف، غرب المسجد الأقصى، يحده شمالاً باب المغاربة وسبيل مجهول التسمية، وجنوبًا جامع النساء، وغربًا الزاوية الفخرية المملوكية.



مسقط أفقي لجامع المغاربة

لا يحتوي الجامع على أية نصوص تأسيسية تشير إلى اسم المنشىء أو تاريخ الإنشاء، وإنما وجد نقش يعلو المدخل المفتوح بالحائط الشرقي يسجل تجديدات السلطان العثماني عبد العزيز خان بن محمود عام ١٢٨٨هـ/ ١٨٧١م، وذلك باللغة العربية بخط النسخ ونصه كالتالي:

١- قد امر بتعمير هذا المسجد المالكي الشريف والمكان المبارك المنيف سلطان البرين وخاقان البحرين

٢- وخادم الحرمين الشريفين وحامي أول القبلتين ذو الشوكة والشأن مولانا السلطان عبد العزيز

٣- خان ابن السلطان الغازي محمود خان من آل عثمان أدام الله ملكه وجعل الدنيا بأسرها ملكه شعبان سنة ١٢٨٨.

للجامع واجهة رئيسية تقع بالجدار الشمالي، فتح بها مدخل ذو عتب رخامي، يعلوه عقد مدبب يتضمن تسع عشرة صنجة، ويؤدي هذا المدخل مباشرة إلى ردهة شرقية، قسمت هذه إلى عدة بلاطات تنفصل عن بعضها بواسطة عقود نصف دائرية مكونة فيما بينها أقبية متقاطعة، أما المدخل الغربي فهو يتشابه مع الشرقي من حيث الشكل والأبعاد، ويؤدي إلى ردهة غربية تحتلها اليوم الزاوية الفخرية والتي تستخدم اليوم كجزء من المتحف الإسلامي.

كان لهذا الجامع محراب مجوف أزيل وحل محله باب يفضي إلى إحدى قاعات المتحف الإسلامي.

مهد عيسى

بني مهد عيسى في نفس الفترة التي بنيت فيها قبة الصخرة والمسجد الأقصى، ويوجد بهذا المكان قبة صغيرة تقوم على أربعة أعمدة، يوجد أسفلها حوض حجري يقال إنه مهد عيسى عليه السلام، وأمام هذا الحوض محراب حجري بسيط، يذكر أنه كان مكان تعبد مريم عليها السلام، وفي الجدار الجنوبي يوجد باب حديدي يؤدي إلى إسطبل سليمان، وتخطيط هذا المكان مربع الشكل، فُرشت أرضيته بالبلاط الحجري ويمثل جداره الشرقي الزاوية الشرقية لسور القدس وسور الحرم الشريف.

المصلى المرواني

يقع المصلى المرواني شرقي المسجد الأقصى المبارك، أسفل مستوى الساحة الخارجية، وهو عبارة عن أقبية واسعة مرتفعة قائمة على ثلاثة عشر صفًّا من القناطر المبنية بالحجارة الكبرى، وهي كبيرة المساحة، ويطلق عليها مؤخرًا «إسطبلات سليمان»، ولعلها استخدمت لهذا الغرض في زمن الصليبيين، ومن أسلوب بنائها يستدل على أنها ترجع إلى القرن السادس الميلادي، ويطلق عليها المسلمون «المسجد القديم»، كما أطلقوا عليها التسوية الشرقية.

قبة سليمان

تقع قبة سليمان داخل الحرم القدسي، جنوب غرب باب العتم، ويرجع بعض مؤرخي العمارة تاريخ إنشاء هذه القبة إلى العهد الأموي، بينما يرجعها البعض الآخر إلى العصر الأيوبي، ويرجح أنها أقيمت لإحياء ذكرى الإسراء والمعراج.

تتميز هذه القبة بمسقطها المثمن الشكل، يحيط بها ثمانية عقود تشغل أركان المثمن من الخارج وتتخذ شكلاً مدببًا بشكل طفيف، ويبدو كل عقد على هيئة عقدين مزدوجين واحد داخل الآخر، والقاعدة المثمنة لهذه القبة وعقودها تذكرنا بنفس تخطيط قاعدة قبة المعراج.

يشغل رقبة القبة ذات المسقط الدائري ثماني نوافذ معقودة بعقود مدببة تعلو وسط كل ضلع من أضلاع المثمن.

أما القبة فقد بنيت من أحجار صغيرة الحجم، وتتخذ القبة من الخارج شكلاً مدببًا بشكل طفيف، إلا أن القبة تبدو مشوهة من الخارج، خاصة في الجانب الجنوبي منها.

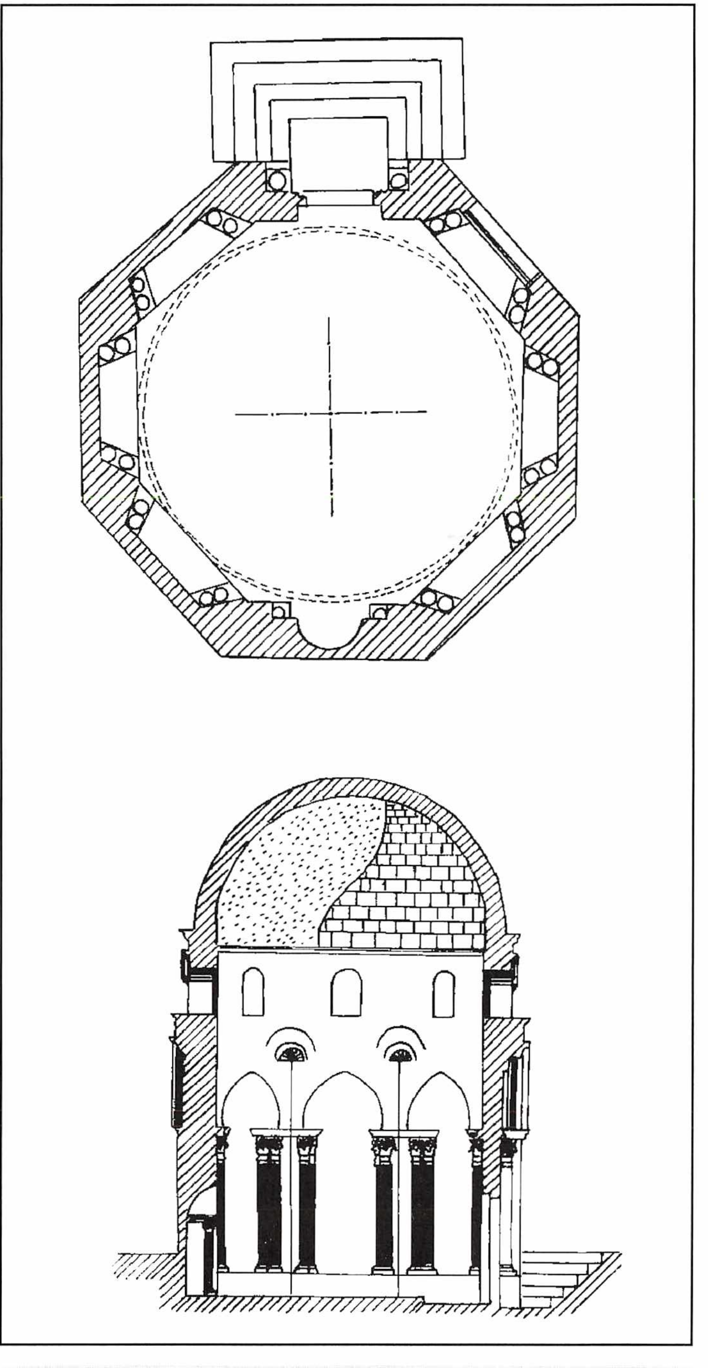
يقع مدخل القبة في الجهة الشمالية وقد نفذ على عتبة بابه نقش منفذ بخط النسخ بالمداد الأحمر معظمه غير مقروء، أما أرضية الحجرة فهي مغطاة ببلاطات رخامية ذات ألوان وأبعاد مختلفة.

يدور حول جدران الحجرة مقاعد للجلوس، صنع بعضها من كتل حجرية متجانسة من الأحجار وصنع البعض الآخر من نوعين مختلفين من الحجر.

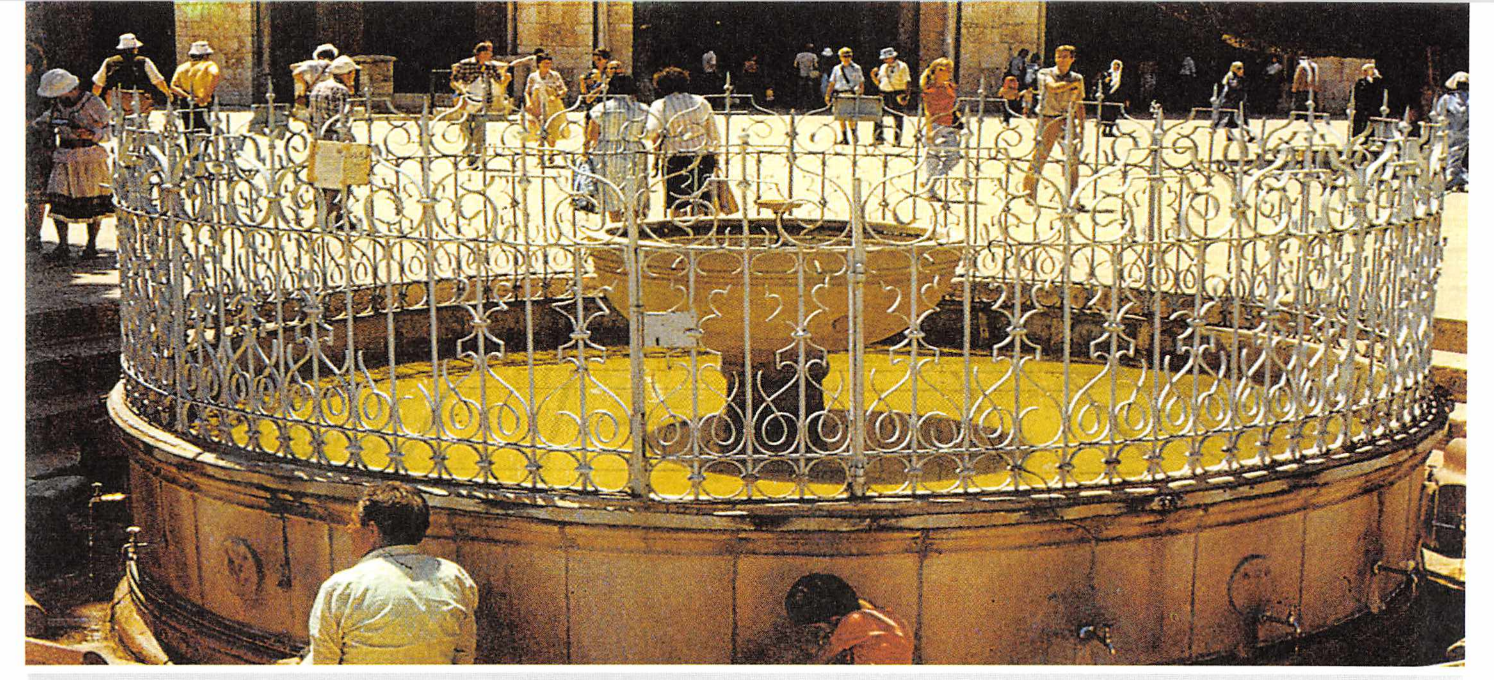
يشغل أركان المثمن من الداخل أربعة وعشرون عمودًا من الرخام، نفذ على أبدان هذه الأعمدة نقوش كتابية بالخط النسخي منفذة سواء بالمداد الأسود أو محفورة، وعلى الرغم من عدم وضوح نصوص هذه النقوش إلا أن هناك جملة مشتركة في جميع النقوش ونصها كالتالي: «حضرت إلى هذا المكان المبارك في شهر.....».

يتوسط جدار القبلة محراب يتخذ شكلاً نصف دائري، يحيط به عمودان صغيران من الطراز الكورانثي ذوا زخرفة نباتية قوامها أوراق الأكانتس، ويتوج المحراب عقد مدبب خالٍ من الزخرفة، وهو مقسم إلى قسمين السفلي هو الحنية المقعرة، والآخر هو المحارة والتي تتضمن عبارات عربية غير مقروءة منفذة بالمداد الأحمر، ينفصل كل منهما عن الآخر.

أما عن منطقة انتقال المثمن إلى دائرة فيشغلها ثمانية أشكال تتبع في تصميمها شكل القوقعة وهي تقوم بنفس دور المقرنصات في جوانب المثمن، أما رقبة القبة فيشغلها ثماني نوافذ صغيرة معقودة للإضاءة، تعلوها خوذة القبة وهي



مسقط أفقي وواجهة قبة سليمان



الكأس

حجرية، بداخل هذه القبة صخرة ثابتة، ربما ساد الاعتقاد بأنها كانت جزءًا من الصخرة المشرَّفة.

قبة يوسف أغا

أنشأ هذه القبة الوالي التركي على القدس «يوسف أغا» عام ١٠٩٢هـ/ ١٦٨١م، وتتكون من قبة ضحلة بنيت على مساحة مربعة شيدت بمداميك من الأحجار المشذبة، فتحت ثلاثة من جوانبها الأربعة، أما الجانب الرابع فهو مغلق.

الكأس

يقع بين مسجدي قبة الصخرة والأقصى، وتحديدًا في مقابلة الدرج المؤدي من قبة الصخرة إلى المسجد الأقصى في الطرف الجنوبي للحرم الشريف، بناه السلطان العادل أبو بكر بن أيوب، جدده الأمير تنكز الناصري في عهد السلطان قايتباي ٧٢٨هـ/ ١٣٢٧م.

يتكون الكأس من حوض رخامي مستدير، في وسطه نافورة يخرج منها الماء ويسقط في البحيرة الرخامية التي يحيط بها سياج معدني دقيق الصنع، ويحيط به صف دائري من المقاعد الرخامية أمام كل منها صنبور ماء يجري إلى الكأس في سواقٍ تحت الأرض مغطاة بالحجارة.

سبيل شعلان

يقع بالجانب الغربي من الحرم القدسي الشريف، أنشأه الملك المعظم عيسى عام ٦١٣هـ/ ١٢١٦م، ويتكون هذا السبيل من مساحة مربعة بنيت من الحجارة بداخله «بئر الماء» والبناء مغطى بسقف مستوٍ.

قبة الخضر

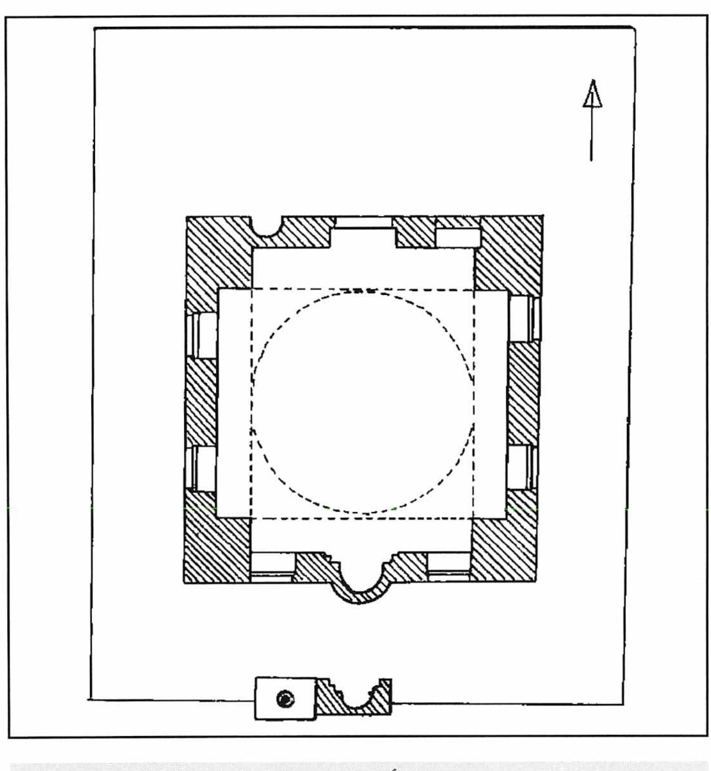
تقع هذه القبة بالقرب من المرقى المؤدي إلى صحن قبة الصخرة، وتقوم على ستة أعمدة رخامية تحمل عقودًا مدببة، شكلها مسدس من الخارج.



قبة الخضر

قبة موسى

تقع قبة موسى في مواجهة باب السلسلة، بالقرب من البائكة الجنوبية الغربية داخل الحرم القدسي، كما عرفت هذه القبة «بقبة الشجرة» نسبة إلى الشجر الذي كان يزرع حول المبنى، وذلك حسب رواية العمري بأنه «في مواجهة كل مدخل من مداخل السور الغربي للحرم، فيما عدا باب الغوانمة، كانت توجد شجرة توت عالية حيث يصلي الناس تحت ظلالها»، كما يطلق عليها اليوم «دار القرآن الكريم».



مسقط أفقي لقبة موسى

أنشأ هذه القبة الملك الصالح نجم الدين ابن الملك الكامل عام ٦٤٧هـ/ ١٢٤٩- ١٢٥٠م، ويذكر أن هذه القبة كانت موجودة قبل عهد الملك الصالح ولكنه أعاد إنشاءها.

وجد نقش كتابي منفذ على لوحة رخامية أعلى باب المدخل الشمالي يتضمن نصها اسم المنشئ وتاريخ البناء ويقرأ كالتالي:

١- بسم الله الرحمن الرحيم

٢- هاذا ما أمر بعمارة هذ(ا) المكان

٣- مولانا السلطان الملك الصالح

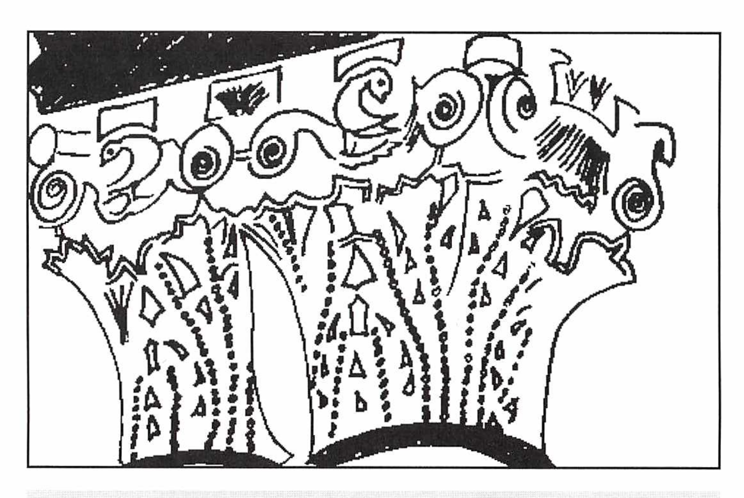
٤- نجم الدنيا والدين ابن الملك

٥- الكامل في شهور سنة سبع وأربعين وستما(ئة).

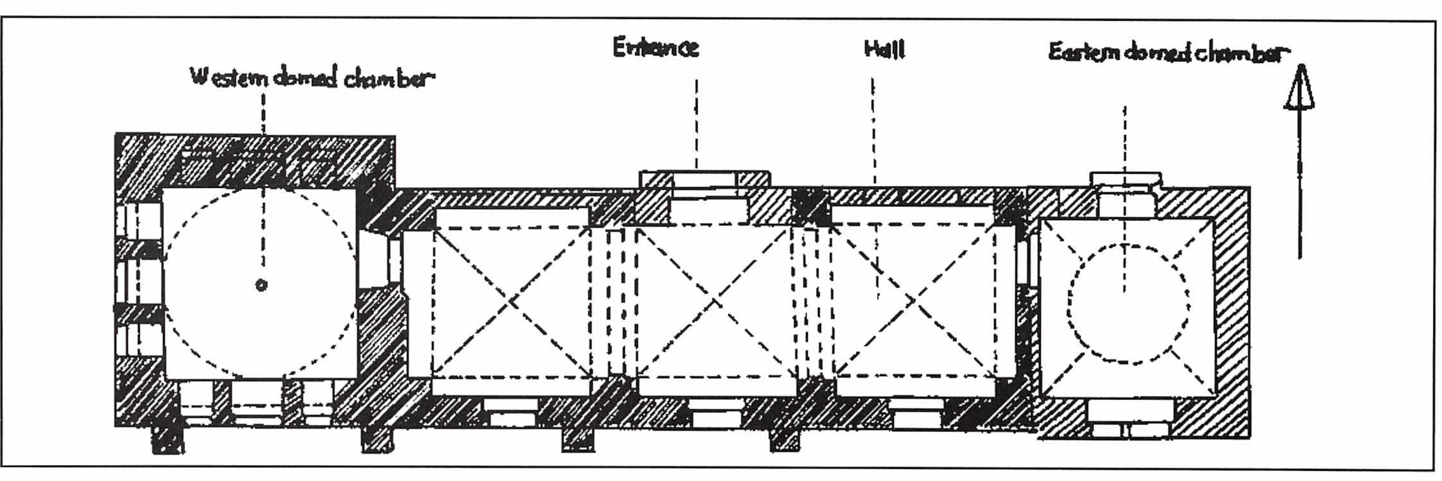
تتكون هذه القبة من حجرة مفردة، ذات مسقط مربع يغطيها قبة عالية، يشغل منطقة انتقالها مثلثات كروية، وفي الجدار الشمالي يوجد مدخل يوصل لداخل القبة، تضاء هذه الحجرة بنافذتين تشغلان كلاً من الجدار الشرقي والجنوبي والغربي، كما يشغل جدار القبلة محراب مقعر، ويشغل الجدار الشمالي على يسار المدخل شرفة (تستعمل اليوم مكانًا لحفظ المصاحف)، أما عن أرضية القبة من الداخل فهي مغطاة بألواح رخامية مختلفة الألوان والأشكال والأبعاد، ويتوسط مركز الأرضية تصميم بالرخام يتخذ شكلاً مربعًا ذا زخارف هندسية معقدة من أطباق نجمية ودوائر وأشكال مثمنة، بالألوان الأبيض والزهري والأسود، يشغل كل ركن من أركان المربع تصميم قوامه يشبه أشعة الشمس، ويحيط بهذا المربع من الجهات الشرقية والجنوبية والغربية ثلاثة مستطيلات من بلاطات رخامية طولية بالألوان الأبيض والزهري والأسود، ويحيط بالبناء سور حجري مستطيل «مصلى»، يقع بالجهة الجنوبية منه محراب ذو حنية نصف دائرية، ويوجد بالجهة الغربية من هذا المحراب خزان مياه حجري.

قبة المدرسة النحوية

تقع القبة النحوية داخل الحرم القدسي الشريف، في الركن الشمالي الغربي من قبة الصخرة، أنشأها الأمير حسام الدين أبو سعد قماز بن عبد الله المعظمي متولي القدس بأمر من الملك المعظم عيسى عام ٦٠٤هـ/١٢٠٧م، الذي كان معتنيًا بالعربية عناية كبيرة، فقد قرأ كتاب سيبويه متنًا وشرحًا، وقرأ ديوان



زخارف تيجان عقد قبة المدرسة النحوية



مسقط أفقي لقبة المدرسة النحوية

الحماسة، وكتاب «الإيضاح» لأبي علي الفارسي، وأصبح المعظم أديبًا، وله ديوان شعر، ومصنفات في العربية، ويوضح هذا اهتمام الملك المعظم بالعربية، وإنشاء مدرسة خاصة بها.

يذكر ابن فضل الله العمري أن الملك المعظم رتب للمدرسة النحوية «إمامًا يصلي الصلوات الخمس، ورتب بها خمسًا وعشرين نفرًا من طلبة النحو، وشيخًا لهم، وشرط أن يكونوا حنفية من جملة طلبة مدرسته التي خارج الحرم»، ويتضح أن عدد طلبة المدرسة خمسة وعشرون طالبًا، ويدرسهم شيخ واحد.

خصصت هذه القبة لتدريس علوم اللغة العربية وفي مقدمتها النحو، وظلت القبة تقوم بوظائف تدريس النحو حتى القرن الثاني عشر الهجري/ الثامن عشر الميلادي، وفي منتصف القرن العشرين أصبحت مكتبة للمجلس الشرعي الإسلامي الأعلى، ثم مقرًا للمكتب المعماري لإصلاح قبة الصخرة، وأخيرًا تستخدم كمكتب خاص بلجنة إعمار المسجد الأقصى.

ومن العلماء الذين تولوا التدريس فيها قاضي القضاة تقي الدين أبو بكر بن عيسى ابن الرصاص الأنصاري المقدسي الحنفي، المتوفى سنة ٨٣٢ هـ، ذكر السخاوي ومجير الدين الحنبلي أن تقي الدين درس بالمدرسة النحوية ولكنهما لم يبينا متى ابتدأ تقي الدين التدريس فيها، ولم يتحدثا عن نشأته العلمية، وتكوينه الثقافي، واقتصر القول بأنه سمع كثيرًا وأصبح فقيهًا من الفقهاء، ثم باشر الحكم بالقدس في سنة ٨٠٢ هـ، وولي القضاء في بيت المقدس والقضاء في غزة، ولا يتوقع أن يتولى القضاء والتدريس إلا بعد أن بلغ مكانة كبيرة في العلم، ويمكن القول بأن تقي الدين درَّس علومًا أخرى لها صلة وثيقة بالنحو بخاصة، وعلوم العربية بعامة.

ولي ابنه الشيخ علاء الدين علي، المعروف بابن الرصاص، المتوفى سنة ٨٨٢ هـ، التدريس بالمدرسة النحوية، فقد خلف والده في التدريس بها، وكان علاء الدين من أهل العلم، وقد اشتغل بالنحو، وغيره من علوم العربية، كما اشتغل بالفقه والتفسير وغيرهما، وكتب كتبًا بخطه في الفقه، والتفسير، ولا شك أنه اشتغل بهذا كله بالمدرسة النحوية، في النحو بخاصة، وفي غيره من العلوم بعامة، وقد استمر يشتغل بالعلم إلى أن توفي في سنة ٨٨٢ هـ في بيت المقدس.

وللقبة النحوية واجهة كان يشغلها ثلاثة عقود مدببة تمتد فيما بين الحجرة الغربية وحتى الحجرة الشرقية، ويظهر آثار هذه العقود والتي كانت ترتكز على أربعة أعمدة من الرخام الأبيض، وربما كانت هذه العقود تفتح على الردهة مباشرة إلا أنها سدت بواسطة مداميك حجرية في مرحلة متأخرة، ويفتح اليوم بهذه الواجهة مدخل يؤدي إلى ردهة تصل بين حجرتين وهو مدخل فريد في عمارته، يعلوه عقد منحنٍ متعاكس، ويدور حول المدخل إطار تشغله أشرطة متشابكة، وعلى جانبي المدخل عقدان مزدوجان من الرخام، لكل منهما تاج تشغله زخارف نباتية قوامها أوراق الأكانتس، وقد رسم بتاج العمود الأيمن طائران نفذا بطريقة الحفر البارز، كما يتداخل بدن العمودين بطريقة مضفرة.

يقابل هذا المدخل بنفس الواجهة مدخل آخر يؤدي إلى الحجرة الشرقية، يتصل قوساه برأس مدببة، كما تشغل هذه الواجهة نوافذ وذلك بالجزء السفلي منها إلا أنها سدت مؤخرًا.

ويشغل القبة من الداخل حجرتان مقبيتان شرقية وغربية، يصل بينهما بهو «ردهة فسيحة»، تتكون هذه الردهة من ثلاث بلاطات ذات قبوات متقاطعة.

يغطي الحجرة الغربية التي تتصل بالردهة قبة ترتكز على عقود، ويشغل منطقة انتقالها مقرنصات وحنيات مضلعة، كما يشغل جدارها الجنوبي والشمالي والغربي ثلاث نوافذ، ولهذه الحجرة مدخل فتح بضلعها الشرقي.

ويعلو الجدار الشمالي لهذه الحجرة من الخارج لوحة رخامية تتضمن نقشًا يقرأ كالتالي:

١- بسم الله الرحمن الرحيم

٢- تبارك الذي..........

٣- جنات تجري من تحتها الأنهار ويجعل لك قصورًا

٤- أمر بإنشاء هذه القبة المباركة وما يليها من العمارة

٥- مولانا السلطان الملك المعظم شرف الدنيا والدين أبو النصر

٦- عيسى ولد مولانا الملك العادل سيف الدين سلطان الإسلام

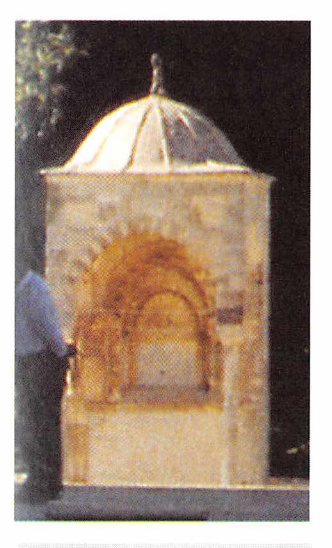
٧- والمسلمين ابو بكر بن أيوب أعز الله أنصارهما. وجرى ذلك على يد

٨- عبده الراجي عفو ربه الامير حسام الدين ابي سعد قماز بن عبد الله المعظمي

٩- الوالي بالبيت المقدس الشريف وذلك في شهور سنة اربع وستماية.

كما يشغل الردهة من جهتها الشرقية حجرة يغطيها قبة أجمل من نظيرتها الغربية، وكانت هذه الحجرة مخصصة لإقامة الإمام، كما استعملت الحجرة كمخزن لزيوت مشكاوات الحرم.

قبة يوسف



قبة يوسف

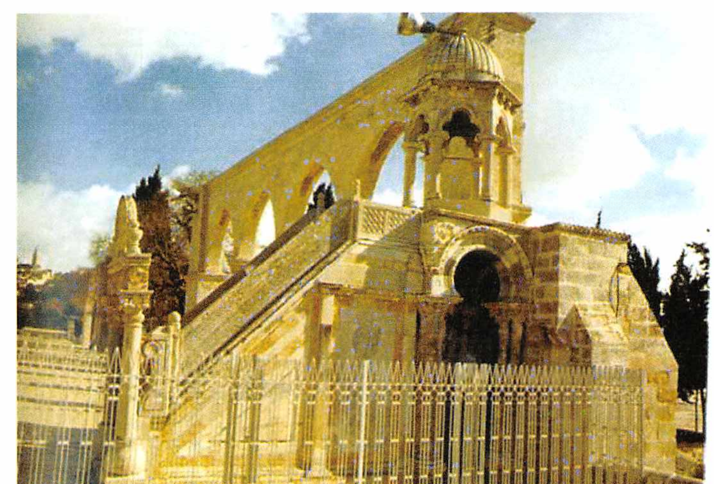
تقع قبة يوسف داخل الحرم القدسي الشريف إلى الجنوب من فناء الصخرة بين قبة المدرسة النحوية ومنبر برهان الدين، أنشأها السلطان الناصر صلاح الدين الأيوبي عام ٥٨٧هـ/ ١١٩١م، ويغلب الظن أن صلاح الدين قام بتأسيسها عوضًا عن أخرى قديمة هدمها الصليبيون أثناء احتلالهم للقدس، وربما كانت هذه القبة تعرف باسم «قبة جبرائيل»، كما يرجح أنها سميت بقبة «يوسف» الذي هو «صلاح الدين».

وتخطيط هذه القبة عبارة عن بناء مربع تعلوه قبة تتألف قاعدتها من عمودين رخاميين وجدار واحد في ناحية القبلة أي أنها عبارة عن ثلاثة عقود مفتوحة وجدار مسدود، بوسط هذا الجدار حنية تشبه المحراب المجوف.

بأعلى بناء القبة نقشان كتابيان أحدهما يعود إلى العهد الأيوبي، والثاني يعود إلى العهد العثماني.

منبر برهان الدين

يقع في صحن قبة الصخرة، بناه قاضي القضاة برهان الدين بن جماعة عام ٧٠٩ هـ/ ١٣٠٩م، في عهد السلطان الناصر محمد، يحيط بمدخل هذا المنبر الحجري عمودان رخاميان يحملان عقدًا حجريًّا، ويؤدي المدخل إلى ريشتين لهما درابزين حجري، بينهما



منبر برهان الدين

درجات سلم حجري، تنتهي إلى جلسة الخطيب التي ترتكز على ثمانية أعمدة رخامية تحمل عقودًا ثلاثية الفصوص، ويُصلى في هذا المكان بالعيدين، وتقام هناك صلاة الاستسقاء.

قبة الأرواح

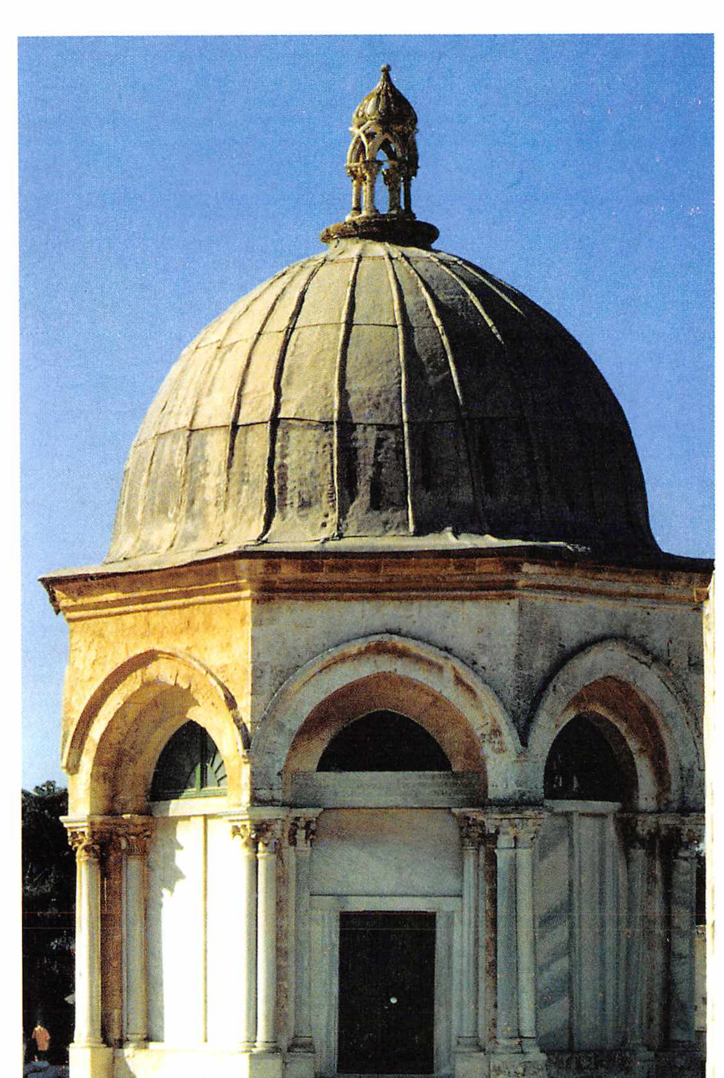
تقع بالقرب من قبة المعراج، وسُمِّيت بهذا الاسم لوقوعها قرب المغارة المعروفة باسم مغارة الأرواح، وتتكون من قبة تقوم على ثمانية أعمدة تحمل ثمانية عقود مدببة، وهي قبة ضحلة قليلة الارتفاع.

قبة المعراج

تقع قبة المعراج إلى الشمال الشرقي من قبة الصخرة، أنشأها الأمير عز الدين عثمان بن علي الزنجيلي متولي القدس في عهد السلطان العادل أبي بكر بن أيوب عام ٥٩٧هـ ١٢٠٠/م.

حسب ما ورد بالنقش الواقع أعلى المدخل ويقرأ كالتالي:

١- بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على محمد نبيه وآله وسلم وما تفعلوا من خير يعلمه الله ومن يعمل مثقال ذرة خيرًا يره



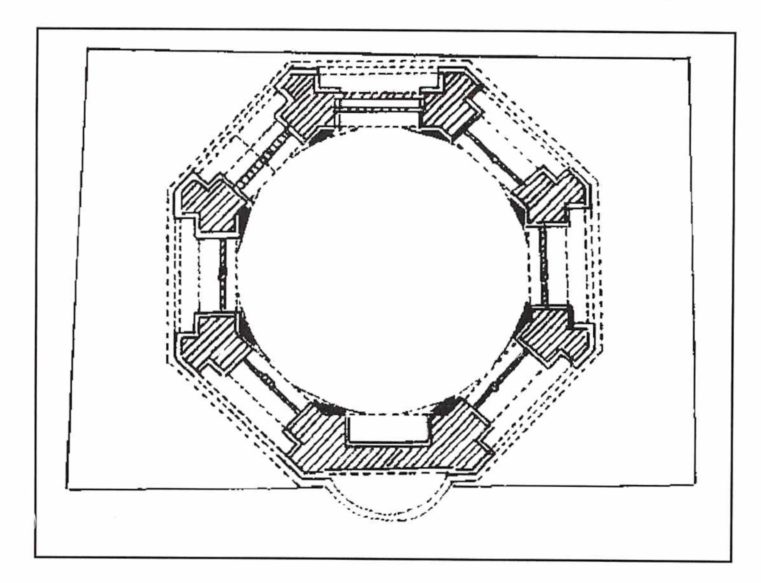
قبة المعراج

٢- هذه قبة النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم التي ذكرها أهل التاريخ في كتبهم تولى إظهارها بعد عدمها وعمارتها بعد دثارها

٣- بنفسه وماله الفقير الى رحمة ربه الامير الاجل الإسفهسلار الكبير الاوحد الاعز الاخص الآمن المجاهد الغازي المرابط عز الدين جمال الإسلام

٤- سعيد السعداء سيف امير المؤمنين ابي عمرو عثمان بن علي بن عبد الله الزنجيلي متولي القدس الشريف وذلك في شهور سنة سبع وتسعين وخمسمائة.

بنيت قبة المعراج من الحجر الجيري، يقع مدخلها في الجهة الشمالية تقوم على ثلاثين عمودًا من الرخام الأبيض، تتخذ حجرة القبة من الداخل شكل مثمن، غطيت جدرانه ببلاطات رخامية، تحمل الجدران الثمانية القبة العالية، ويزين كل ركن من أركان المثمن أربعة أعمدة مدمجة عدا الجهة



مسقط أفقي لقبة المعراج

الجنوبية «جدار القبلة» والتي بها ثلاثة أعمدة فقط، تحمل هذه الأعمدة عقودًا مدببة سدت فتحاتها بالرخام عدا ضلع الجهة الجنوبية، فقد شيد به محراب حجري يتخذ شكلاً نصف دائري من الخارج، بني من مداميك حجرية مشابهة لأحجار البناء نفسه، مما يؤكد أن المحراب كان جزءًا لا يتجزأ من البناء، ومن الداخل يتخذ شكل عقد مدبب من أعلى، وكوة نصف دائرية من أسفل تزخرفها بلاطات ذات ألوان متعددة كالأزرق والفيروزي، يعلو كوة المحراب نقش نفذ بالخط النسخي يشير إلى التجديدات التي أجريت عام ١١٩٥هـ/ ١٧٨١م، يتكون هذا النقش من ثلاثة أسطر مقسمة إلى جزءين سفلي مكون من سطرين كتبا باللون الأبيض على أرضية خضراء من البلاطات ويقرأ كالتالي:

١- بسم الله الرحمن الرحيم سبحان الذي اسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى

٢- المسجد الاقصى الذي باركنا حوله لنريه من اياتنا انه السميع البصير التعمير من محمد حقي كتبه سيد

أما العلوي فيحيط به إطار يتخذ شكل جمالوني ويتوج كوة المحراب ويقرأ كالتالي:

«ما شاء الله سنة ١١٩٥».

يتوج أعلى بدن القبة من الخارج قبة جميلة عوضًا عن الهلال، ترتكز على ستة أعمدة رخامية تشبه الشموع.

قبة النبي

تقع قبة النبي بين بناء قبة الصخرة وقبة المعراج، أمر بتشييدها محمد بك أحد ولاة القدس عام ٩٤٥هـ/ ١٥٣٨م، صاحب لواء غزة والقدس الشريف، وتتكون من ثمانية أعمدة

قبة النبي

رخامية تحمل ثمانية عقود مدببة أنشأها السلطان عبد الحميد ابن محمود الثاني عام ١٢٦١ هـ/ ١٨٤٥م.

قبة السلسلة

تقع شرقي قبة الصخرة داخل الحرم القدسي، أنشأها الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان عام ٧٢هـ/ ٦٩٢م، سُمّيت بقبة السلسلة لاحتوائها على سلسلة يمسها المتقاضون، ولأن هذه السلسلة حليف كل صادق في القول ولأنها تبتعد عن كل من كذب، وتربط هذه الروايات بين هذه السلسلة وتلك التي كان يتخذها نبي الله داود لحسم النزاع بين الخصوم في مجلسه للقضاء.

وتخطيط هذه القبة سداسي الشكل يتكون من الداخل من ستة أعمدة تحمل العقود التي ترتكز عليها رقبة القبة، والقبة مكسوة ببلاطات من القاشاني بعد ترميمها في عهد السلطان سليمان القانوني في القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي.

صهريج الملك المعظم

يقع صهريج الملك المعظم عيسى ابن السلطان الملك العادل إلى جوار البائكة الجنوبية للحرم القدسي من ناحية الغرب، أنشأه الملك المعظم عيسى الأيوبي عام ٦٠٧هـ/ ١٢١٠م، ويتم التوصل إلى هذا الصهريج عن طريق حجرة خارجية ذات مسقط مربع (A) تؤدي بدورها إلى حجرة أخرى ذات قبو برميلي (B)، تؤدي هي الأخرى إلى حجرة ثالثة فسيحة (C) ذات مسقط مستطيل ومغطاة بقبو برميلي، كانت تستخدم فيما مضى، إلا أنها غير مستخدمة لهذا الغرض اليوم، وفي سقف القبو فتحة مسدودة تشير إلى الوظيفة الأساسية للحجرة والتي بنيت عام ٦٠٧هـ/ ١٢١٠: ١٢١١م، وكانت هذه الحجرة مخصصة لتجميع مياه الأمطار داخلها بغرض استخدامها للشرب أو الوضوء، وفي الجانب الشمالي الشرقي من الصهريج غرفة تعرف باسم «خلوة الدجاني» (D) والتي يرجع بناؤها إلى العصر العثماني، يعلو الباب المؤدي إلى الصهريج نقش يقرأ كالتالي:

١- بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما تطوع

٢- بعمل هذا الصهريج المبارك لوجه الله تعالى

٣- الفقير الى رحمة الله تعالى محمد ابن عروة بن سيار الموصلي

٤- رحمه الله من نعمة مولانا الملك المعظم عيسى بن

٥- الملك العادل أبو بكر ابن أيوب في سنة سبع وستمائة.

كذلك وجد نقش آخر على يسار مدخل الصهريج ويقرأ كالتالي:

١- بسم الله الرحمن الرحيم أنشأ هذ(ا) المكان المبارك

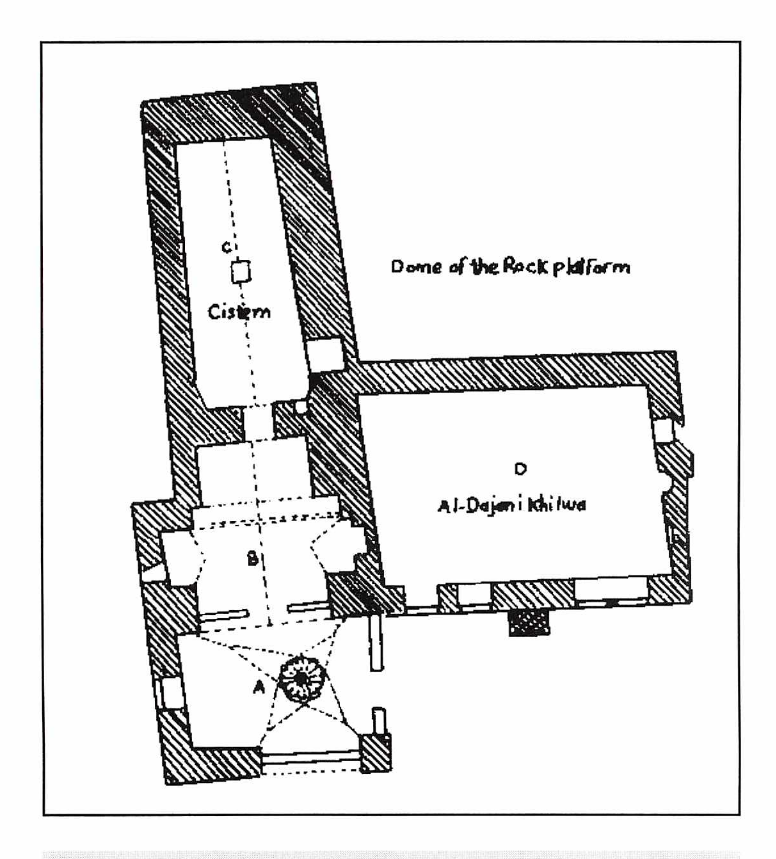
٢- العبد الفقير الى الله عنبر البرهاني في رمضان

٣- المعظم سنة اثنين وتسعين وسبعمائة.

أما النقش الثالث فهو غير مؤرخ ويقع بالركن الشمالي الغربي من الحجرة الأمامية، ويقرأ كالتالي:

١- لروح رسول الله صلى الله عليه وسلم وقف هذه السقاية المباركة

٢- العبد الفقير الى الله تعالى قاسم بن عبد الله تقربا الى الله تعالى ذالك (.....).



مسقط أفقي لصهريج الملك المعظم

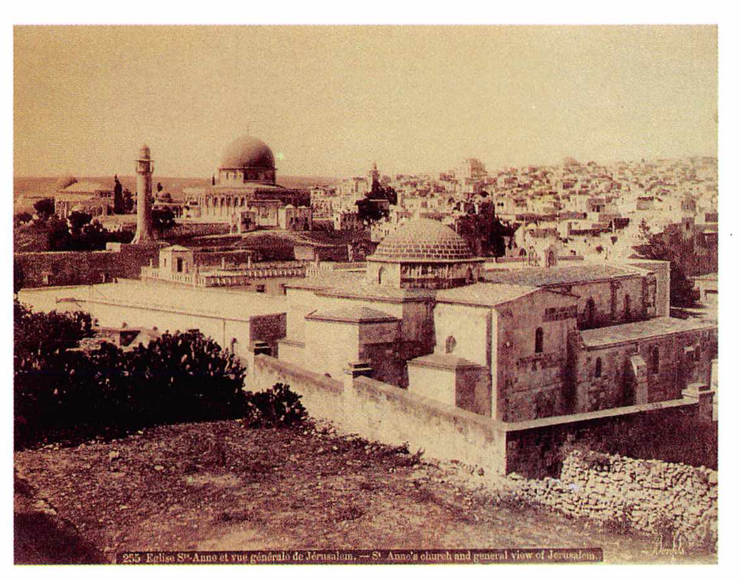
قائمة المراجع

- إبراهيم الفقي، طاهر النمري، المسجد الأقصى والصخرة المشرفة، الشروق، عمان، 2001م.
- أحمد الصاوي، القدس «مقدسات لا تمحى وآثار تتحدى»، مركز الإعلام العربي، 2003م.
- إدهام محمد حنش، منبر المسجد الأقصى، مجلة فنون إسلامية، مجلة فصلية، العدد الأول، خريف 1430هـ/ 2009م.
- أمنون كوهين، القدس «دراسات في تاريخ المدينة العربية»، القدس، 1990م.
- بشير عبد الغني بركات، القدس الشريف في العهد العثماني، القدس.
- ثروت عكاشة، موسوعة التصوير الإسلامي، الطبعة الأولى، مكتبة لبنان، بيروت، 2001م.
- خالد عزب، القدس المدينة والتهويد، الدوحة، 1996م.
- رائف يوسف نجم، كنوز القدس، منظمة المدن العربية، الكويت، 1983م.
- ر. و. هاميلتون، عمارة المسجد الأقصى، ترجمة وتعليق: حامد عثان خضر، دار الهدى للنشر والتوزيع، دار نون للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، 2009م.
- سليم تماري، القدس 1948 «الأحياء العربية ومصيرها في حرب 1948»، الطبعة الأولى، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت، 2002م.
- شوقي شعث: القدس العربية الإسلامية، الشارقة، 2001م.
- عبد الجليل حسن المهدي، المدارس في بيت المقدس «في العصرين الأيوبي والمملوكي»، ج1،2، مكتبة الأقصى، عمان ـ الأردن، 1981م.



- عبد الحميد زايد، القدس الخالدة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2000م.
- عبد الرحيم علي النباهين، المسجد الأقصى والنهضة العلمية في عصر سلاطين المماليك، مجلة الفيصل، العدد 399/ 400 سبتمبر، أكتوبر، 2009م.
- عبد الله أبو راشد، فنون العمارة المقدسية شاهد على عروبتها، مجلة الرافد، العدد 144.
- محمد حمزة الحداد، الأسبلة السليمانية الباقية بالقدس الشريف، حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية، 2002م.
- نزار الطرشان، استبدال البلاطات الخزفية بالفسيفساء على الواجهات الخارجية لقبة الصخرة المشرفة، مجلة أدوماتو، مجلة نصف سنوية، العدد الرابع، ربيع الثاني 1422هـ/ يوليو 2001م.
- يحيى عمر الدنف الأنصاري، مناسك القدس الشريف، تحقيق، أنور محمود الزناتي، مولدي فاروق زناتي، القاهرة 2009م.
- يوسف سعيد النتشه، المسجد الأقصى، مؤسسة التعاون، 2002م.
- يوسف سعيد النتشه، قبة الصخرة المشرفة، مؤسسة التعاون، 2002م.
- يوسف شوقي، قبة الصخرة، مسقط. عمان، 1987م.
- Oleg Grabar, Said Nuseibeh, The Dome of the Rock, London, 1996.
- Max Van Berchem, Muslim Jerusalem, Switzerland.
- Mahmoud K. Hawari, Ayyubid Jerusalem (1187-1250),England, 2007.

صور من بيت المقدس



كنيسة القديسة آن ومنظر عام لمدينة القدس



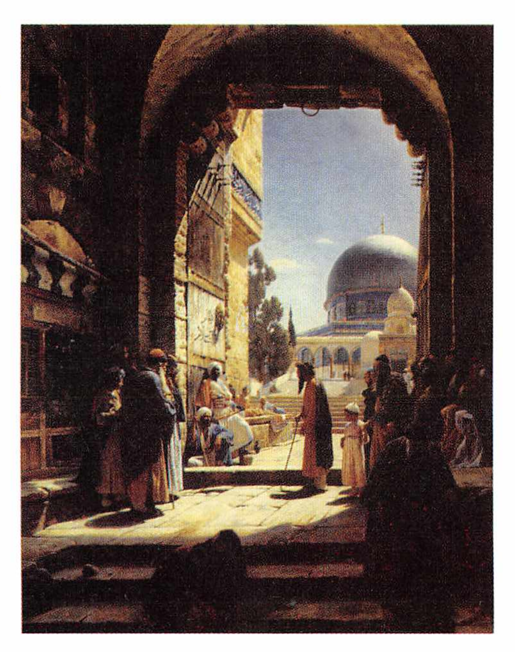
الفندق الجديد في القدس



حائط البراق في القدس، في يوم الجمعة



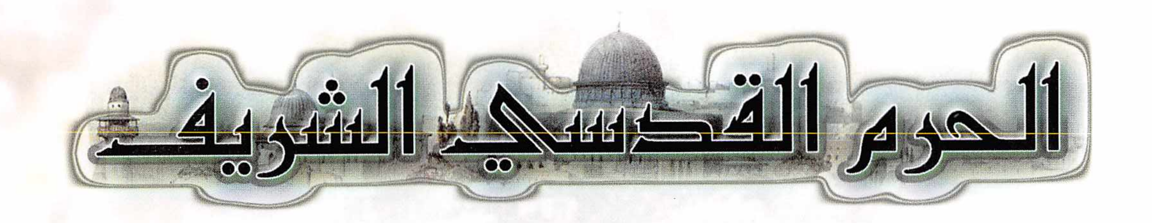
القوات البريطانية في القدس عام 1918



باب العمود (باب دمشق)



منظر عام للحرم القدسي الشريف



توالى الاهتمام بالحرم القدسي الشريف منذ أن
فُتح في عهد أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، وقد أُلحق
به في العصر الأموي قبة الصخرة والمسجد الأقصى، وظل
اهتمام خلفاء بني العباس به، فقاموا بتجديده، لكن مع الحروب
الصليبية تعرض الحرم القدسي لانتكاسة معمارية، ليعود له بريقه
مع فتح صلاح الدين للقدس وتحريرها من الصليبيين. وفي العصر
المملوكي شهدت القدس أوج ازدهارها العمراني والمعماري ليضاف إلى
الحرم القدسي مدارس وأسبلة وقباب ومآذن ومنشآت معمارية بنيت
لخدمة زوار الحرم القدسي، ولتعزيز العلم به، فصارت القدس قبلة
العلماء الزوار من شتى أرجاء العالم الإسلامي.
واليوم وبهذا الكتاب نستعرض عمارة الحرم القدسي الشريف،
وتكوينه المعماري بالتفصيل، ليكون هذا الكتاب سجلاً له،
يوثقه ويقدمه للقراء...


9 789953 279213